

تحصيل المأمول من علم الأصول مختصر إرشاد الفحول

للعامة الشيخ أبي الطيب صدّيقه بن مهسّنه القنوجي البغاري
المتوفى سنة ١٣٠٧ هـ

تقريبه وتعليقه
أحمد فريد الزبيدي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصلاة الله وسلامه عليه وعلى آله الطيبين وصحبه المقربين أجمعين إلى يوم الدين، أما بعد:

فلقد أفرغ أئمتنا المجتهدون وسعهم في استثمار مصادر التشريع، وبذلوا طاقتهم في استنباط الأحكام بما أتاهم الله تعالى من سعة الفكر، وبُعد النظر، وقوة البيان، وسلامة الفطرة، وصفاء الذهن، وحسن القصد، فكان علم الأصول كفيلاً بالنظر في الأدلة الشرعية، ومنهاجاً قوياً للاجتهاد واستنباط الأحكام الشرعية من الأدلة والنصوص.

وضمن هذا المنظور، قام الإمام القنوجي بتهديب إرشاد الفحول وتنقيحه، مضيفاً إليه بعض الإفادات، حتى يكون بمثابة مذكرة لطالب العلم المبتدئ في الأصول، الذي يريد أن يتعرف على أصول المسائل وفروعها، ووجه الخلاف، ومذاهبه فيها، وحقاً أفاد المصنف وأجاد في كتابه هذا، وكان اسماً على مُسمى.

فنسأل الله أن يوفقنا إلى الخير والرشاد، وأن يهدينا لسبيل الهدى المصلح للعباد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

* * *

ترجمة المصنف

هو العلامة الفقيه المحدث المفسر الأصولي الأديب: أبو الطيب صديق بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني القنوجي البخاري، المخاطب بالنواب، عالي الجاه، أمير الملك خان بهادر.

من بعض مصنفاته

- ١ - أيجد العلوم.
 - ٢ - الإذاعة لما كان وما يكون من أشراف الساعة.
 - ٣ - الإكسير فى أصول التفسير.
 - ٤ - إكليل الكرامة فى بيان مقاصد الإمامة.
 - ٥ - الانتقاد الرجيح فى شرح الاعتقاد الصحيح.
 - ٦ - حصول المأمول من علم الأصول، كتابنا هذا.
 - ٧ - الروضة الندية فى شرح الدرر البهية.
 - ٨ - رياض الجنة فى تراجم أهل السنة.
 - ٩ - عون البارى بحل أدلة البخارى، بتحقيقنا.
 - ١٠ - فتح البيان فى مقاصد القرآن.
 - ١١ - فتح العلام شرح بلوغ المرام.
 - ١٢ - الموعظة الحسنة بما يخطب به فى شهور السنة، بتحقيقنا.
 - ١٣ - يقظة أولى الاعتبار بما ورد فى ذكر النار وأصحاب النار، بتحقيقنا.
 - ١٤ - نيل المرام من تفسير آيات الأحكام، بتحقيقنا.
 - ١٥ - السراج الوهاج من كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج، بتحقيقنا.
 - ١٦ - نشوة السكرات من صهباء تذكّار الغزلان، يسر الله تحقيقه.
 - ١٧ - فتح المغيـث بفقـه الحديث، يسر الله لنا تحقيقه.
- وغيرها من المصنفات النافعة.
- وانظر فى ترجمته: الطريقة المثلى لولده أبى الخير الطيب نور الحسن خان، والأعلام للزركلى (١٦٧/٦)، ومعجم المؤلفين لكحالة (٣٥٨/٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفصل الأول

فى تعريف أصول الفقه وموضوعه وفائدته واستمداده^(١)

فالأصول جمع أصل، وهو فى اللغة ما يبتنى عليه غيره، وفى الاصطلاح يقال: على القاعدة الكلية والدليل، والفقه هو فى اللغة الفهم، وفى الاصطلاح العلم بالأحكام الشرعية عن أدلتها التفصيلية بالاستدلال، وقيل غير ذلك. وأصول الفقه باعتبار الإضافة ما يختص بالفقه من حيث كونه مبتنئاً عليه ومستنداً إليه، وباعتبار العملية هو إدراك القواعد التى يتوصل بها إلى استنباط الأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها التفصيلية على وجه التحقيق، وقيل غير ذلك، وهذا أولاها.

وموضوع أصول الفقه الأدلة، وقال بعضهم: الأدلة والأحكام، ولكن المتأخرين قالوا: إن موضوع أصول الفقه الأدلة السمعية من حيث إثباتها الأحكام.

ويتميز علم أصول الفقه من الفقه بأن موضوع هذا الأخير أفعال المكلفين من حيث إنها تحمل وتحرم، وتصح وتفسد، وموضوع الأول الأدلة السمعية من حيث أنها تستنبط منها الأحكام الشرعية.

وأما فائدة هذا العلم، فهى العلم بأحكام الله تعالى أو الظن بها، والترقى عن حضيض التقليد، إذا استعمل فيما وضع لأجله من استنباط الفروع من الأصول، وهى سبب الفوز بسعادة الدارين.

وأما استمداده، فمن ثلاثة أشياء: الأول: علم الكلام؛ لتوقف الأدلة الشرعية على معرفة البارى سبحانه وصدق المبلغ، وهما مبيانان فيه مقررة أدلتهما فى مباحثه. الثانى: اللغة العربية؛ لأن فهم الكتاب والسنة والاستدلال بهما يتوقفان عليها، إذ هما عربيان.

(١) انظر فى ذلك: نهاية السؤل (١٦/١)، وشرح العضد على ابن الحاحب (١٨/١)، والمستصفى (٥/١)، وفواتح الرحموت (١٤/١)، والمحلى على جمع الجوامع مع حاشية البنانى (٢٥/١)، التعريفات (ص ٢٨)، الشرح الكبير على الورقات للعبادى (٢٨٥/١).

الثالث: الأحكام الشرعية من حيث تصورها؛ لأن المقصود إثباتها ونفيها كقولنا: الأمر للوجوب، والنهي للتحريم، والصلاة واجبة، والربا حرام.

* * *

الفصل الثاني

فى المبادئ اللغوية

اللغة هى اللفظ الدال وضعاً، والدلالة على تمام الموضوع له مطابقة، وعلى جزئه تضمن، وعلى الخارج التزام، والقول بوحدة المطابقة أو التضمن وتبعية التضمن للمطابقة توسع، والمراد التبعية فى القصد لا فى الوجود، وهى دلالة لفظية، والعقلية هى الالتزام، وهنا ستة أبحاث:

الأول: عن ماهية الكلام، وهى فى هذا الفن يقال عن الأصوات المقطعة المسموعة، وخصص النحاة الكلام بما تضمن كلمتين بالإسناد، وذهب كثير من أهل الأصول إلى أن الكلمة الواحدة تسمى كلاماً.

الثانى: عن الواضع، واختلف فى ذلك على أقوال: أحدها: أن الواضع هو الله سبحانه، وإليه ذهب الأشعرى وأتباعه وابن فورك. الثانى: أن الواضع هو البشر، وإليه ذهب أبو هاشم ومن تابعه من المعتزلة. الثالث: أن ابتداء اللغة وقع بالتعليم من الله تعالى، والباقى بالاصطلاح. الرابع: أن ابتداء اللغة وقع بالاصطلاح، والباقى توقيف، وبه قال الأستاذ أبو إسحاق، وقيل: إنه قال بالذى قبله. الخامس: أن نفس الألفاظ دلت على معانيها بذاتها، وبه قال عباد بن سليمان الضمرى، واحتج أهل الأتاويل المذكورة معقولاً ومنقولاً بما لم ينهض شىء منها للحجة كما هو مبسوط فى موضعه، فالحق ما حكاه صاحب المحصول عن الجمهور من الوقف وجواز كلها من غير جزم بأحدها، وهو القول السادس.

الثالث: عن الموضوع، والموضوعات اللغوية هى كل لفظ وضع لمعنى، ويدخل فيه المفردات والمركبات الستة، وهى الإسنادى، والوصفى، والإضافى، والعددى، والمزجى، والصوتى، ومعنى الوضع يتناول أمرين أعم وأخص، فالأعم تعيين اللفظ بإزاء معنى، والأخص تعيين اللفظ للدلالة على معنى.

الرابع: عن الموضوع له، وفيه خلاف، قال الجوينى والرازى وغيرهما: إن اللفظ

مختصر إرشاد الفحول.....٢٧٥
موضوع للصورة الذهنية، سواء كانت موجودة في الذهن والخارج، أو في الذهن فقط.
وقال أبو إسحاق: موضوع للموجود الخارجي، وقيل: موضوع للأعم من الذهني
والخارجي، ورجحه الأصفهاني.

الخامس: عن الطريق التي يعرف بها الوضع، وهى النقل، إذ لا يستقل به العقل،
والحق أنه جميعاً منقول بطريق التواتر.

السادس: عن جواز إثبات اللغة بطريق القياس، وقد اختلف فيه، فجوزه القاضي أبو
بكر الباقلاني، وابن شريح، وأبو إسحاق الشيرازي، وجماعة من الفقهاء، ومنهم
الجبيني، والغزالي، والآمدي، وهو قول عامة الحنفية، وأكثر الشافعية، واختاره ابن
الحاجب، والهام، وجماعة من المتأخرين، وهو الحق.

* * *

الفصل الثالث

فى تقسيم اللفظ إلى مفرد ومركب

اللفظ الموضوع إن قصد بجزء منه الدلالة على جزء معناه فهو مركب، وإلا فهو
مفرد^(١)، والمفرد إما واحد أو متعدد، وكذلك معناه، فهذه أربعة أقسام:

الأول: الواحد للواحد إن لم يشترك فى مفهومه كثيرون لا محققاً ولا مقدراً، فمعرفة
لتعينه مطلقاً، أى وضعاً واستعمالاً، فعلم شخصى وجزئى حقيقى إن كان فرداً

(١) هذا تعريف جمهور العربية، وقال فريق آخر: إن توحد اللفظ ولو عرفاً، فهو مفرد، وإلا
فمركب، فنحو بعلبك علماً مركب على الثانى، مفرد على الأول، ونحو منوب مركب على
الأول مفرد على الثانى؛ لأن اللفظ واحد، لكنه يدل على مسند ومسند إليه، فلا بد من لفظين
بإزائها، وهو الهمزة والمادة، فجزؤه يدل على جزء معناه على الأول، وهذا رأى ابن سينا
المخالف فيه جمهور أهل العربية، فإنهم يقولون: إن اللفظ بتمامه يدل على المعنى الفعلى، وأما
المسند إليه فمئوى.

قال الشيخ محمد نظام: ولا يلزم إجماعهم هذا حجة عليه، فإنه تحكم من غير دليل، بل الفحص
بحكم بما قال ابن سينا، فإنه لا شك أنه يفهم منه معنى يمتثل الصدق والكذب، والحروف التى
فيه تكفى للدلالة عليه، فالعدول عنه واعتبار المئوى، لا يرخسه بصيرة الحد كما فى: ضربت
هذا، وأما المضارع الغائب، فلا يدل على جملة؛ لأنه تبقى حاجته فى احتمال الصدق والكذب،
إلى أن يذكر بعده منسوب إليه، ولذا قد يذكر الفاعل فيه، فيظهر الفرق بينهما بأؤكد وجهه.
وانظر: فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت (١/١٨٦، ١٨٧).

٢٧٦ مختصر إرشاد الفحول

أو مضافاً بوضعه الأصلي، وإما بالإشارة الحسية فاسمها، وإما بالعقلية، فلا بد من دليلها سابقاً كضمير الغائب، أو معاً كضمير المخاطب والمتكلم، أو لاحقاً كالموصولات، إن اشترك في مفهومه كثيرون تحقيقاً أو تقديرًا فكلّ، فإن تناول الكثير على أنه واحد فجنس، وإلا فاسم الجنس، وأياً ما كان فتناوله لجزئيات إن كان على وجه التفاوت بأولية أو أشدية، فهو المشكك، وإن كان تناوله لها على السوية فهو المتواطى.

وكل واحد من هذه الأقسام إن لم يتناول وضعاً إلا فرداً معيناً، فخاص خصوص الشخص، وإن تناول الأفراد واستغرقها فعام، سواء استغرقها مجتمعة أو على سبيل البدل، والأول يقال له: العموم الشمولي، والثاني البدلي، وإن لم يستغرقها، فإن تناول مجموعها غير محصور، فيسمى عاماً عند من لم يشترط الاستغراق كالجمع المنكر، وعند من يشترطه واسطة، والراجع الاستغراق كالجمع المنكر، وعند من يشترطه واسطة، والراجع أنه خاص؛ لأن دلالة على أقل الجمع قطعية كدلالة المفرد على الواحد، وإن لم يتناول مجموعاً، بل واحداً أو اثنين، أو يتناول محصوراً فخاص خصوص الجنس أو النوع.

الثاني: اللفظ المتعدد للمعنى، ويسمى المتباين، سواء تفاضلت أفراده كالإنسان والفرس، أو تواصلت كالسيف والصارم.

الثالث: اللفظ الواحد للمعنى المتعدد، فإن وضع لكل فمشترك، وإلا فإن اشتهر في الثاني فمنقول، ينسب إلى ناقله، وإلا فحقيقة ومجاز.

الرابع: اللفظ المتعدد للمعنى الواحد، ويسمى المترادف.

وكل من الأربعة ينقسم إلى مشتق وغير مشتق، وإلى صفة وغير صفة، وجميع ذلك قد بين في علوم معروفة، فلا نطيل البحث فيه، ولكننا نذكر هاهنا خمس مسائل تتعلق بهذا العلم تعلقاً تاماً:

الأولى: في الاشتقاق، وهو أن تجد بين اللفظين تناسباً في المعنى والتركيب، فترد أحدهما إلى الآخر، وأركانها أربعة: أحدها: اسم موضوع للمعنى. وثانيها: شيء آخر له نسبة إلى ذلك المعنى. وثالثها: مشاركة بين هذين الاسمين في الحروف الأصلية. ورابعها: تغيير يلحق ذلك الاسم في حرف فقط أو حركة فقط أو فيهما معاً، وكل واحد من هذه الأقسام، إما أن يكون بالزيادة أو النقصان أو بهما معاً، فهذه تسعة أقسام، وقيل: تنتهي أقسامه إلى خمسة عشر.

واللفظ ينقسم إلى قسمين: صفة، وهي ما دل على ذات مبهمة غير معينة بتعيين شخصى ولا جنسى متصفة بمعنى كضارب، فإن معناه ذات لها الضرب. وغير صفة وهو ما لا يدل على ذات مبهمة متصفة بمعنى. ثم اختلفوا هل بقاء وجه الاشتقاق شرط لتصدق الاسم المشتق فيكون للمباشر حقيقة اتفاقاً، وفى الاستقبال مجازاً اتفاقاً، وفى الماضى الذى قد انقطع خلاف مشهور بين الحنفية والشافعية، فقالت الحنفية: مجاز، وقالت الشافعية: حقيقة، وإليه ذهب ابن سينا من الفلاسفة، وأبو هاشم من المعتزلة، وتفصيل ذلك فى مغتتم الحصول. والحق أن إطلاق المشتق على الماضى الذى قد انقطع حقيقة لاتصافه بذلك فى الجملة.

الثانية: فى الترادف، وهو توالى الألفاظ المفردة الدالة على مسمى واحد باعتبار معنى واحد، فيخرج عن هذا دلالة اللفظين على شىء واحد لا باعتبار واحد، بل باعتبار صفتين كالصارم والمهند، أو باعتبار الصفة وصفة الصفة، كالفصيح والناطق، والفرق بين الأسماء المترادفة والأسماء المؤكدة أن المترادفة تفيد فائدة واحدة من غير تفاوت أصلاً، وأما المؤكدة فإن الاسم الذى وقع به التأكيد يفيد تقوية المؤكد أو دفع توهم التجوز أو السهو أو عدم شمول. وقد ذهب الجمهور إلى إثبات الترادف فى اللغة العربية، وهو الحق، وسببه إما تعدد الواضع أو توسيع دائرة التعبير وتكثير وسائله، وهو المسمى عند أهل البيان بالافتنان أو تسهيل مجال النظم والنثر وأنواع البديع.

الثالثة: فى المشترك، وهو اللفظة الموضوعية لحقيقتين أو أكثر وضعاً أولاً من حيث هما كذلك، واختلف أهل العلم فيه، فقال قوم: إنه واجب الوقوع، وقال آخرون: إنه ممتنع الوقوع، وقالت طائفة: إنه جائز الوقوع. ولا يخفك أن المشترك موجود فى هذه اللغة العربية، لا ينكر ذلك إلا مكابر، كالقرء فإنه مشترك بين الطهر والحيض، مستعمل فيهما من غير ترجيح، وهو معنى الاشتراك، وهذا لا خلاف فيه بين أهل اللغة، ومثل القرء العين، فإنها مشتركة بين معانيها المعروفة. وكما هو واقع فى لغة العرب بالاستقراء، فهو أيضاً واقع فى الكتاب والسنة، فلا اعتبار بقول من قال: إنه غير واقع فى الكتاب فقط أو فيهما لا فى اللغة. قلت: وأطال فى مغتتم الحصول فى بيان ذلك.

الرابع: اختلف فى جواز استعمال اللفظ المشترك فى معنيه أو معانيه، فذهب الشافعى، والقاضى أبو بكر، وأبو على الجبائى، والقاضى عبد الجبار بن أحمد، والقاضى جعفر، والشيخ حسن، وبه قال الجمهور، وكثير من أئمة أهل البيت إلى جوازه. وذهب

٢٧٨ مختصر إرشاد الفحول

أبو هاشم، وأبو الحسن البصري، والكرخي إلى امتناعه، ثم اختلفوا، فمنهم من منع منه لأمر يرجع إلى القصد، ومنهم من منع منه لأمر يرجع إلى الوضع، والحق عدم جواز الجمع بين معنى المشترك أو معانيه، ولم يأت من جوزه بحجة. وهذا الخلاف إنما هو فى المعانى التى يصح الجمع بينها لا فى المعانى المتناقضة.

الخامسة: فى الحقيقة والمجاز، وفى هذه المسألة عشرة أبحاث:

الأول: فى تفسيرهما، أما الحقيقة، فهى فعلية من حق الشئ، بمعنى ثبت، والتاء للنقل من الوصفية إلى الاسمية الصرفة، وفعل فى الأصل قد يكون بمعنى الفاعل، وقد يكون بمعنى المفعول، فعلى الأول يكون معنى الحقيقة الثابتة، وعلى الثانى يكون معناها المثبتة. وأما المجاز، فهو مفعول من الجواز الذى هو التعدى كما يقال: جرت موضع كذا، أى جاوزته، أو من الجواز الذى هو قسيم الوجوب والامتناع، وهو راجع إلى الأول.

الثانى: فى حدهما، فالحقيقة هى اللفظ المستعمل فيما وضع له، فيشمل هذا الوضع اللغوى، والشرعى، والعرفى، والاصطلاحي، وقيل غير ذلك. والمجاز هو اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة، وقيل غير ذلك.

الثالث: قد اتفق أهل العلم على ثبوت الحقيقة اللغوية والعرفية، واختلفوا فى ثبوت الحقيقة الشرعية، وهى اللفظ الذى استفيد من الشارع وضعه للمعنى، سواء كان اللفظ والمعنى مجهولين عند أهل اللغة، أو كانا معلومين لكنهم لم يضعوا ذلك الاسم لذلك المعنى، أو كان أحدهما مجهولاً والآخر معلوماً. والمراد وضع الشارع لا وضع أهل الشرع كما ظن، فذهب الجمهور إلى إثباتها، وذلك كالصلاة، والزكاة، والصوم، والمصلى، والمزكى، والصائم، وغير ذلك، فمحل النزاع الألفاظ المتداولة شرعاً المستعملة فى غير معانيها اللغوية، فالجمهور جعلوها حقائق شرعية بوضع الشارع لها، وهو الحق، ولم يأت من نفاها بشئ يصلح للاستدلال^(١).

(١) انظر: روضة الناظر (٥٥٠/٢)، المحصول (٤١٣/١)، الإحكام للآمدى (٢٧/١)، أصول السرخسى (١٧٠/١)، كشف الأشرار (١٥٩/١)، شرح الكوكب المنير (١٤٩/١)، شرح العضد على ابن الحاجب (١٣٨/١)، التلخيص فى أصول الفقه للجوينى (٢٠٩/١)، وكذا البرهان (١٧٤/١)، وشرح الإسنى على المنهاج (٣٣٦/١)، البحر المحيط للزركشى (١٥٤/٢)، الإبهاج للسبكي (٢٧٥/١).

والرابع: المجاز واقع فى لغة العرب عند جمهور أهل العلم، وخالف فى ذلك أبو إسحاق الإسفراينى، وخلافه هذا يدل أبلغ دلالة على عدم اطلاعه على لغة العرب، وينادى بأعلى صوت بأن سبب خلافه هذا تفريطه فى الاطلاع على ما ينبغى الاطلاع عليه من هذه اللغة، وما اشتملت عليه من الحقائق والمجازات التى لا تخفى على من له أدنى معرفة بها.

الخامس: أنه لا بد من العلاقة فى كل مجاز فيما بينه وبين الحقيقة، والعلاقة هى اتصال للمعنى المستعمل فيه بالموضوع له، وذلك الاتصال إما باعتبار الصورة كما فى المجاز المرسل، أو باعتبار المعنى كما فى الاستعارة وعلاقتها المشابهة، وهى الاشتراك فى معنى مطلقاً، لكن يجب أن تكون ظاهرة الثبوت لمحلّه والانتفاء عن غيره، والمراد الاشتراك فى الكيف، والاتصال الصورى، فهو إما فى اللفظ، وذلك المجاز بالزيادة والنقصان، وقد تكون العلاقة باعتبار ما مضى، وهو الكون عليه كالعبد للمعتق، أو باعتبار المستقبل، وهو الأول إليه كالخمر للعصير، أو باعتبار الكلية والجزئية كالركوع فى الصلاة، واليد فيما وراء الرسغ، والحالية والمحلية كاليد فى القدرة، والسببية، والمسببية، والإطلاق، والتقييد، واللزوم، والمجاورة، والظرفية، والبدلية، والشرطية، والمشروطية، والضدية.

السادس: فى قرائن المجاز، اعلم أن القرينة إما خارجة عن المتكلم والكلام، أى لا تكون معنى فى المتكلم وصفة له، ولا تكون من جنس الكلام، أو تكون معنى فى المتكلم، أو تكون من جنس الكلام، وهذه القرينة التى تكون من جنس الكلام، إما لفظ خارج عن هذا الكلام الذى يكون المجاز فيه بأن يكون فى كلام آخر لفظ يدل على عدم إرادة المعنى الحقيقى، أو غير خارج عن هذا الكلام، بل هو عينه أو شئ منه يكون دالاً على عدم إرادة الحقيقة^(١).

السابع: فى الأمور التى يعرف بها المجاز ويتميز عندها عن الحقيقة، والفرق بين الحقيقة والمجاز إما أن يقع بالنص أو الاستدلال، أما بالنص فمن وجهين:

الأول: أن يقول: الواضع هذا حقيقة، وذلك مجاز.

(١) انظر: الصحاح (٨٧٠/٣)، البلغة فى أصول اللغة (ص ٢٠٤)، واللسان (٣٢٦/٥)، وأساس البلاغة (ص ٦٩)، الإحكام للآمدي (٢٨/١)، المستصفى (٣٤١/١)، شرح العضد على ابن الحاجب (١٤١/١)، العدة (١٧٢/١)، الروضة (٥٥٤/٢)، فواتح الرحموت (٢٠٣/١)، المحصول (٣٩٧/١)، التمهيد لأبى الخطاب (٧٧/١)، البحر المحيط (١٥٢/٢).

الثاني: أن يذكر الواضع حد كل واحد منهما بأن يقول: هذا مستعمل فيما وضع له، وذاك مستعمل في غير ما وضع له، ويقوم مقام الحد ذكر خاصية كل واحد منهما. وأما الاستدلال فمن وجوه ثلاثة: الأول: أن يسبق المعنى إلى أفهام أهل اللغة عند سماع اللفظ بدون قرينة، فيعلم بذلك أنه حقيقة فيه، فإن كان لا يفهم منه المعنى المراد إلا بالقرينة، فهو المجاز. الثاني: صحة النفي للمعنى المجازي، وعدم صحته للمعنى الحقيقي في نفس الأمر. الثالث: عدم اطراد المجاز، وهو أن لا يجوز استعماله في محل مع وجود سبب الاستعمال المسوغ لاستعماله في محل آخر، كالتجوز بالنخلة للإنسان الطويل دون غيره مما فيه طول، وليس الاطراد دليل الحقيقة، فإن المجاز قد يطرد كالأسد للشجاع.

الثامن: في أن اللفظ قبل الاستعمال لا يتصف بكونه حقيقة، ولا بكونه مجازاً لخروجه عن حد كل واحد منهما، وقد اتفقوا على أن الحقيقة لا تستلزم المجاز؛ لأن اللفظ قد يستعمل فيما وضع له، ولا يستعمل في غيره، وهذا معلوم لكل عالم بلغة العرب، واختلفوا هل يستلزم المجاز الحقيقة أم لا، بل يجوز أن يستعمل اللفظ في غير ما وضع له، ولا يستعمل فيما وضع له أصلاً، فقال جماعة: يستلزم، وقال الجمهور: لا يستلزم، وقلت: ولعل الصواب هو الأول.

التاسع: في اللفظ إذا دار بين أن يكون مجازاً أو مشتركاً، هل يرجح المجاز على الاشتراك أو الاشتراك على المجاز؟ فرجح قوم الأول، وآخرون الثاني. والحق أن الحمل على المجاز أولى من الحمل على اشتراك لغلبة المجاز بلا خلاف، والحمل على الأعم الأغلب دون القليل النادر متعين^(١).

العاشر: في الجمع بين الحقيقة والمجاز، ذهب جمهور أهل اللغة وجميع الحنفية والمحققون من الشافعية وجمع من المعتزلة إلى أنه لا يستعمل اللفظ في المعنى الحقيقي والمجازي حال كونهما مقصودين بالحكم بأن يراد كل واحد منهما، وأجاز ذلك بعض الشافعية والمعتزلة مطلقاً، إلا أن لا يمكن الجمع بينهما كأفعل أمراً وتهديداً، فإن الأمر طلب الفعل، والتهديد يقضى الترك، فلا يجتمعان معاً. وقال الغزالي وأبو الحسين: إنه يصح استعماله فيهما عقلاً لا لغة إلا غير المفرد كالمثنى والمجموع، فيصبح استعماله

(١) انظر: الشرح الكبير على الورقات (٣٥٣/١)، وحاشية البناني والمحلّي على جمع الجوامع (٢٣٠/١)، شرح الكوكب المنير (١٧٥/١)، شرح العضد على ابن الحاجب (١٦٩/١).

فيهما لغة لتضمنه المتعدد كقولهم: القلم أحد اللسانين. ورجح هذا التفصيل ابن الهمام، وهو قوى؛ لأنه قد وجد المقتضى وفقد المانع، فلا يمتنع عقلاً إرادة غير المعنى الحقيقي بالمتعدد، والحق امتناع الجمع بينهما لتبادر المعنى الحقيقي من اللفظ من غير أن يشاركه غيره في التبادر عند الإطلاق، وهذا بمجرد منع من إرادة غير الحقيقي بذلك اللفظ المفرد مع الحقيقي.

* * *

الفصل الرابع

في مسائل الحروف^(١)

قد ذكر جماعة من أهل الأصول في المبادئ مباحث في بعض الحروف التي ربما يحتاج إليها الأصولي، وهي مدونة في فن علم الإعراب مبينة بياناً تاماً، فلا حاجة لنا إلى التطويل في بيانها، ولكن نشير إليها على سبيل الاختصار، فنقول: منها الواو، وهي لمطلق الجمع، أو للمعية، أو للترتيب، فذهب إلى الأول جمهور النحاة، والأصوليين، والفقهاء، وذهب إلى الثاني ابن مالك، وذهب إلى الثالث الفراء، وثعيب، وأبو عبيدة، وروى هذا عن الشافعي، ونسب ذلك إلى أبي حنيفة، والثاني إلى صاحبيه، ولم يأت القائلون بإفادة الواو للترتيب بشيء يصلح للاستدلال به، ويستدعي الجواب عنه، وتنفرد الواو عن سائر أحرف العطف بخمسة عشر حكماً وتستعار للحال، ومنها الفاء للتعقيب بإجماع أهل اللغة، وإذا وردت لغير تعقيب، فذلك لدليل آخر يقترن معناه بمعناها، وهي للترتيب بلا مهلة، ولو في الذكر.

وللسببية، وذلك غالب في العاطفة جملة، نحو: ﴿فوكزه موسى فقضى عليه﴾ [القصص: ١٥]، أي مات، أو صفة نحو: ﴿لاأكلون من شجر من زقوم فمالتون منها البطون فشاربون عليه من الحميم﴾ [الواقعة: ٥٤]، ومنها ثم بالضم، ويقال فيها: ثم حرف عطف للتراخي في الوجود، وجاء لتراخي المنزلة، ومنه قوله تعالى: ﴿وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾ [طه: ٨٢]، أي استقام على الهدى، فإن

(١) انظر المسألة في: المحصول للرازي (١/١٦٠، ١٦٤)، والإحكام للآمدي (١/٨٨، ٩٦)، المعتمد لأبي الحسين البصري (١/٣٤، ٣٦)، التلويح على التوضيح (١/٩٩، ١٠٣)، فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت (١/٢٢٩). نهاية السؤل للإسنوي (٢/١٨٥، ١٨٧)، مختصر الأصول لابن اللحام (٥١٢٥٠)، اللمع للشيرازي (ص ٣٦)، إرشاد الفحول للشوكاني (١/١٤٤).

٢٨٢ مختصر إرشاد الفحول

مرتبة الاستقامة أعلى، إذ هي أشق، والتراخي يرجع إلى التكلم عند أبى حنيفة، وإلى الحكم عندهما وللترتيب خلافاً للعبادى، ومنها بل للعطف والإضراب عما قبله بصرف الحكم إلى ما بعده وجعله كالمسكوت عنه، ومع كلمة لا نص فى النفى.

ومنها ولكن للاستدراك خفيفة وثقيلة، ولكن يجب فى المفرد أن تكون بعد النفى، وفى الجملة اختلاف ما قبلها وما بعدها إثباتاً ونفيًا ولو معنى. ومنها أو، ذكر لها المتأخرون معانى انتهت إلى اثني عشر:

أحدهما: إيهام إخفاء، وهو إخفاء المتكلم مراده على السامع، قال الله تعالى: ﴿وإننا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين﴾ [سبأ: ٢٤].

الثانى: التخيير، وتقع بعد الطلب نحو كن عالماً أو متعلماً.

الثالث: وقوع الشك من قبل المتكلم نحو قوله تعالى: ﴿لبثنا يوماً أو بعض يوم﴾ [الكهف: ١٩].

الرابع: الجمع المطلق كالواو، وهو مذهب الجرمى وأهل الكوفة.

الخامس: التقسيم نحو الاسم إما معرب أو مبنى.

السادس: الإباحة، وهى ما يقع الطلب بعدها نحو جالس المحدثين أو المفسرين، وأكثر ورودها للإباحة فى التشبيه نحو: ﴿فهى كالحجارة أو أشد قسوة﴾ [البقرة: ٧٤]، ذكره ابن مالك.

السابع: الإضرار كبل، ويشترط فى ذلك عند سيويه إعادة العامل وتقدم نهى أو نفى.

الثامن: التقريب، نحو ما أدرى أسلم أو دع، قاله الحريرى.

التاسع: الشرطية، نحو لأضربنه عاش أو مات، أى إن عاش أو مات بعد الضرب، قاله ابن الشجرى.

العاشر: أن تكون بمعنى إلى نحو لألزمك أو تعطينى حقى.

الحادى عشر: أن تكون للاستثناء، كقوله:

و كنت إذا غمزت قناة قوم كسرت كعوبها أو تستقيما

مختصر إرشاد الفحول ٢٨٣

الثاني عشر: التبويض، كما في قوله تعالى: ﴿وقالوا كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا﴾ [البقرة: ١٣٥]، والضمير في قالوا لليهود والنصارى، فاليهود قالوا للنصارى: كونوا هودًا، والنصارى قالوا لليهود: كونوا نصارى، فالتبويض دل عليه.

ومنها حتى، للغاية، وتكون جارة وعاطفة وللتعليل وللإستثناء، وزعم الشيخ شهاب الدين القرافي أنه لا خلاف في دخول ما بعد حتى، وليس كذلك، بل الخلاف فيها مشهور، والاتفاق إنما هو في حتى العاطفة لا الخافضة؛ لأن العاطفة بمنزلة الواو.

ومنها الباء للإلصاق حقيقة، ومجازًا، والتعدي، والاستعانة، والسببية، والمصاحبة، والظرفية، والبديلية، والمقابلة، والمحاورة، والاستعلاء، والقسم، والغاية، والتوكيد، وكذا التبويض، وفاقًا للأصمعي، والفارسي، وابن مالك، ومصاحب القاموس.

ومنها على، تكون حرفًا واسمًا، وزعم بعضهم أنها لا تكون إلا اسمًا، ونسبوه لسيبويه.

ومنها من، تأتي على خمسة عشر وجهًا، لابتداء الغاية عند كثير من أئمة اللغة منهم المبرد، وللتبويض نحو ﴿منهم من كلم الله﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وهو مذهب فخر الإسلام، وصاحب البديع، وكثير من الفقهاء، ولبیان الجنس، وأكثر ورودها بعد ما ومهما، نحو: ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها﴾ [فاطر: ٢]، و﴿مهما تأتينا به من آية﴾ [الأعراف: ١٣٢]، وللتعليل نحو: ﴿مما خطيئاتهم أغرقوا﴾ [نوح: ٧١]، وللبدل نحو: ﴿أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة﴾ [التوبة: ٣٨]، وأنكره قوم.

ولمرادفه عن نحو: ﴿يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا﴾ [الأنبياء: ٩٧]، ومرادفه الباء نحو ﴿ينظرون من طرف خفي﴾ [الشورى: ٤٥]، ومرادفه في نحو: ﴿إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة﴾ [الجمعة: ٩]، ومرادفه عند نحو: ﴿لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً﴾ [آل عمران: ١٠]، قاله أبو عبيدة، ومرادفه ربما، ومرادفه على نحو: ﴿ونصرناه من القوم﴾ [الأنبياء: ٧٧]، وللفضل، وتدخل على المتضادين نحو: ﴿والله يعلم المفسد من المصلح﴾ [البقرة: ٢٢٠]، وللغاية تقول: رأيت من ذلك الموضع، وللتخصيص على العموم نحو: ما جاءني من رجل، ولتوكيد العموم نحو: ما جاءني من أحد، فإن أحدًا من صيغ العموم.

ومنها إلى، ولها ستة معان:

٢٨٤ مختصر إرشاد الفحول

أحدها: انتهاء الغاية، يعنى أنها تدل على بلوغ آخر الشيء المتلبس به الفعل.

الثاني: أنها ترادف اللام نحو: أحمد الله إليك، أى أنهى حمده إليك.

الثالث: موافقة فى، ويمكن حمل قوله سبحانه: ﴿ليجمعنكم إلى يوم القيامة﴾ [النساء: ٨٧] عليه، قاله ابن مالك، وأنكره أبو عصفور.

الرابع: المعية، وذلك أنها ضمت شيئاً إلى شىء، وبه قال جماعة من البصريين، وهو قول أهل الكوفة فى قوله تعالى: ﴿من أنصارى إلى الله﴾ [آل عمران: ٥٢].

الخامس: موافقة عند، كقوله:

أشهى إلى من الرحيق السلسل

السادس: موافقة من، كقوله:

فلا يروى إلى ابن أحمر

أى منى.

ومنها فى، لها عشرة معان:

الأول: الظرفية لاشتغال مجرورها على ما قبله اشتمالاً زمانياً، أو مكانياً، تحقيقاً أو تشبيهاً، والظرفية الزمانية والمكانية اجتماعاً فى قوله تعالى: ﴿الم غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين﴾ [الروم: ١].

الثاني: التعليل، نحو: ﴿فذلكم الذى لم تننى فيه﴾ [يوسف: ٣٢].

الثالث: الاستعلاء، نحو: ﴿لأصلبنكم فى جذوع النخل﴾ [طه: ٧١].

الرابع: المصاحبة، نحو: ﴿ادخلوا فى أمم﴾ [الأعراف: ٣٨]، أى مع أمم.

الخامس: مرادفة الباء، كقوله:

ويركب يوم الروع منا فوارس بصيرون فى طعن الأباهر^(١) والكلى

السادس: مرادفة من نحو قوله تعالى: ﴿ويوم نبعث فى كل أمة شهيداً عليهم من

أنفسهم﴾ [النحل: ٨٩].

السابع: المقايضة، نحو: ﴿فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل﴾ [التوبة:

٣٨]، بالنسبة إلى الآخرة.

(١) الأباهر: عروق إذا انقطع أحدها مات صاحبها فى الحال.

الثامن: مرادفة إلى نحو: ﴿فردوا أيديهم في أفواههم﴾ [إبراهيم: ٩].

التاسع: التوكيد، وهى الزائدة لغير تعويض، أنشد الفارسي:

أنا أبو السعد إذا الليل دجى يخال فى سواده يرنججا^(١)

العاشر: الزائد للتعويض، كقوله: ضربت فيمن رغبت، تقديره ضربت من رغبت.

ومنها من، تأتي على حمسة أوجه:

أحدها: أن تكون استفهامية، نحو: ﴿من بعثنا من مرقدنا﴾ [يس: ٥٢].

الثاني: شرطية جازمة، نحو: ﴿من يعمل سوءاً يجز به﴾ [النساء: ١٢٣].

الثالث: أن تكون اسماً موصولاً، نحو: ﴿ولله يسجد من فى السموات﴾ [الرعد:

١٥].

الرابع: أن تكون مثل ما لما لا يعقل، نحو: ﴿ومنهم من يمشى على بطنه﴾ [النور:

٤٥].

الخامس: أن تكون نكرة موصوفة، ولهذا دخلت عليها رب فى نحو قوله:

رب من أنضجت غيظاً قلبه

ومنها هل، لطلب التصديق الإيجابى لا للتصور ولا للتصديق السلبي.

ومنها لن، حرف نفى ونصب واستقبال، نحو: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما

تحبون﴾ [آل عمران: ٩٢].

ومنها ما، ترد اسمية موصولة، بمعنى الذى، نحو: ﴿ما عندكم ينفذ وما عند الله

باق﴾ [النحل: ٩٦]، ونكرة مؤولة بمعنى شىء، نحو: مررت بما معجب لك، أى بشىء

معجب لك، ومبالغة فى الإخبار عن أحد بالإكثار من فعل الكتابة، نحو: إن زيدا مما أن

يكتب، أى هو مخلوق من أمر الكتابة، فما بمعنى شىء.

والحرفية قد تكون نافية، نحو: ﴿ما هذا بشراً﴾ [يوسف: ٣١]، ومصدرية إما زمانية

أو غير زمانية، الأول كقوله تعالى: ﴿وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حياً﴾

[مريم: ٣١]، أى مدة دوامى حياً. والثانى نحو قوله تعالى: ﴿عزيز عليه ما عنتم﴾

(١) يندج: كسفرجل، الجلد الأسود.

٢٨٦ مختصر إرشاد الفحول

[التوبة: ١٢٨]، أى عزيز عليه عنتكم، وتسمى موصولاً حرفياً، وقد تكون زائدة، وهى نوعان: كافة وغير كافة، وللأولى ثلاثة أقسام: الكافة عن عمل الرفع، والكافة عن عمل النصب والرفع، والكافة عن عمل الجر، وتفصيله فى كتب النحو.

ومنها إذن، قال سيبويه: للجواب والجزاء.

ومنها أى، بالفتح والسكون للتفسير، ونداء القريب، أو البعيد، أو المتوسط.

ومنها أى، بالتشديد للشرط، والاستفهام، وموصولة، ودالة على معنى الكمال.

ومنها إذ، اسم للماضى ظرفاً، ومفعولاً به، وبدلاً من المفعول، ومضافاً إليها اسم زمان، وللمستقبل فى الأصح، وترد للتعليل حرفاً أو ظرفاً، وللمفاجأة وفقاً لسيبويه.

ومنها رب للتكثير والتقليل، ولا تختص بأحدهما خلافاً لزايم ذلك.

* * *

الفصل الخامس

فى الأحكام، وفيه أربعة أبحاث

الأول: فى الحكم، وهو الخطاب^(١) المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء، أو التخيير، أو الوضع، فيتناول اقتضاء الوجود، واقتضاء العدم، إما مع الجزم أو مع جواز الترك، فيدخل فى هذا الواجب، والمحذور، والمندوب، والمكروه.

وأما التخيير فهو الإباحة، وأما الوضع فهو السبب، والشرط المانع، فالأحكام التكليفية خمسة؛ لأن الخطاب إما أن يكون جازماً أو لا يكون جازماً، فإن كان جازماً، فيما أن يكون طلب الفعل، وهو الإيجاب أو طلب الترك، وهو التحريم، وإن كان غير جازم، فالطرفان إما يكونا على السوية، وهو الإباحة، أو يترجح جانب الوجود وهو الندب، أو يترجح جانب الترك، وهو الكراهة.

(١) انظر: إحكام الفصول للباجى (ص ٥١٥)، الحدود له (٥٠)، الإشارة (ص ٢٩٤)، العدة (١٥٤/١)، البرهان للجوينى (٤٤٩/١)، المستصفى (١٩١/٢)، التبصرة للشيرازى (ص ٢١٨)، شرح اللمع له (٤٢٨/١)، التمهيد للكلواذنى (٢١/١)، روضة الناظر (٢٠٣/٢)، الإحكام للآمدى (٢١٢/٢)، شرح تنقيح الفصول (٥٣)، منتهى السؤل لابن الحاجب (ص ١٤٨)، التعريفات للجرجاني (ص ٢٢٤)، تقريب الوصول لابن جزى (ص ٨٨)، شرح الكوكب المنير للفتوحى (٤٨٨/٣)، فواتح الرحموت (٤١٤/١)، البلبل للطونخى (ص ١٢٢).

وكانت الأحكام ثمانية، خمسة تكليفية وثلاثة وضعية، وتسمية الخمسة تكليفية تغليب، إذ لا تكليف في الإباحة، بل ولا في الندب، والكراهة التنزيهية عند الجمهور، وسميت الثلاثة وضعية؛ لأن الشارع وضعها علامات لأحكام تكليفية وجوداً أو انتفاءً، فالواجب في الاصطلاح ما يمدح فاعله ويذم تاركه على بعض الوجوه، فلا يرد النقص بالواجب المخير وبالواجب على الكفاية، فإنه لا يذم في الأول إلا إذا تركه مع الآخر، ولا يذم في الثاني إلا إذا لم يقدّم به غيره، وينقسم إلى معين، ومخير، ومضيق، وموسع، وعلى الأعيان، وعلى الكفاية، ويرادفه الفرض عند الجمهور.

وقيل: الفرض ما كان دليلاً قطعياً، والواجب ما كان دليلاً ظنياً، والأول أولى، والمحذور ما يذم فاعله ويمدح تاركه، ويقال له: المحرم والمعضية، والمندوب ما يمدح فاعله ولا يذم تاركه، وقيل: هو الذي يكون فعله راجحاً في نظر الشرع، ويقال له: مرغوب فيه، ومستحب، ونفل، وتطوع، وإحسان، وسنة. والمكروه ما يمدح تاركه ولا يذم فاعله، ويقال باشتراك على أمور ثلاثة: على ما نهى عنه نهى تنزيه، وهو الذي أشعر فاعله أن تركه خير من فعله، وعلى ترك الأولى كترك صلاة الضحى، وعلى المحذور المتقدم. والمباح ما لا يمدح على فعله ولا على تركه، والمعنى أنه أعلم فاعله أنه لا ضرر عليه في فعله وتركه، وقد يطلق على ما لا ضرر على فاعله، وإن كان تركه محظوراً كما يقال: دم المرتد مباح، أى لا ضرر على من أراقه، ويقال للمباح: الحلال، والجائز، والمطلق.

والسبب هو جعل وصف ظاهر منضبط مناهياً لوجود حكم، أى يستلزم وجوده وجوده، وبيانه أن الله سبحانه في الزانى مثلاً حكماً، أحدهم تكليفى وهو وجوب الحد عليه، والثانى وضعى وهو جعل الزنا سبباً لوجوب الحد؛ لأن الزنا لا يوجب الحد بعينه وذاته، بل يجعل الشرع.

والشرط هو ما كان عدمه يستلزم عدم الحكم، فهو وصف ظاهر منضبط يستلزم ذلك، ويستلزم عدم السبب لحكمة فى عدمه تنافى حكمة الحكم أو السبب، وبيانه أن الحول شرط فى وجوب الزكاة، فعدمه يستلزم عدم وجوبها، والقدرة على التسليم شرط فى صحة البيع، فعدمها يستلزم عدم صحته، والإحصان شرط فى سببية الزنا للرجم، فعدمه مستلزم عدمها.

المانع هو وصف ظاهر منضبط يستلزم وجوده حكمة تستلزم عدم الحكم أو عدم

٢٨٨.....مختصر إرشاد الفحول

السبب، كوجود الأبوة، فإنه يستلزم عدم ثبوت الاقتصاص للابن من الأب كون الأب سبباً لوجود الابن يقتضى أن لا يصير الابن سبباً لعدمه.

الثاني: فى الحاكم، لا خلاف فى كون الحاكم الشرع بعد البعثة وبلوغ الدعوة، وأما قبل ذلك، فقالت الأشعرية: لا يتعلق له سبحانه حكم بأفعال المكلفين، فلا يحرم كفر، ولا يجب إيمان، وقالت المعتزلة: إنه يتعلق له سبحانه حكم بما أدرك العقل فيه صفة حسن أو قبح لذاته أو لصفته أو لوجوده، واعتبارات على اختلاف بينهم فى ذلك، قالوا: والشرع كاشف عما أدركه العقل قبل وروده، وقد اتفق الأشعرية والمعتزلة على أن العقل يدرك الحسن والقبح فى شيئين، الأول: ملائمة الغرض للطبع ومنافرة له، فالموافق حسن والمنافر قبيح عند العقل. والثانى صفة الكمال والنقص، فصفت الكمال حسنة وصفات النقص قبيحة عنده.

والثالث: فى المحكوم به، وهو فعل المكلف، فمتعلق بالإيجاب يسمى واجباً، ومتعلق الندب يسمى مندوباً، ومتعلق بالإباحة يسمى مباحاً، ومتعلق الكراهة يسمى مكروهاً، ومتعلق التحريم يسمى حراماً، وقد تقدم كل واحد منها، وفيه ثلاث مسائل:

الأولى: أن شرط الفعل الذى وقع التكليف به أن يكون ممكناً، فلا يجوز التكليف بالمستحيل عند الجمهور، وهو الحق، وسواء كان مستحيلاً بالنظر إلى ذاته، أو بالنظر إلى امتناع تعلق قدرة المكلف به. وقال جمهور الأشاعرة: بالجواز مطلقاً، وقال جماعة منهم: إنه ممتنع فى الممتنع لذاته جائز فى الممتنع لامتناع تعلق قدرة المكلف به، وعندى أن قبح التكليف بما لا يطاق معلوم بالضرورة، فلا يحتاج إلى استدلال، والمجوز لذلك لم يأت بما ينبغى الاشتغال بتحريره والتعرض لرده.

الثانية: أن حصول الشرط الشرعى ليس شرطاً فى التكليف عند أكثر الشافعية والعراقيين من الحنفية، وقال جماعة منهم الرازى، وأبو حامد، وأبو زيد، والسرخسى: هو شرط، وهذه المسألة ليست على عمومها، إذ لا خلاف فى أن مثل الجنب والمحدث مأموران بالصلاة، بل هى مفروضة على كل منهما، وهو أن الكفار مخاطبون بالشرائع، أى بفروع العبادات عملاً عند الأولين لا عند الآخرين. وقال قوم: هم مكلفون بالنواهي؛ لأنها أليق بالعقوبات الزاجرة دون الأوامر، والحق ما ذهب إليه الأولون، وبه قال الجمهور.

الثالثة: أن التكليف بالفعل، والمراد به أثر القدرة الذي هو الأكوان؛ لأن التأثير الذي هو أحد الأعراض النسبية ثابت قبل حدوثه اتفاقاً، وينقطع بعده اتفاقاً، ولا اعتبار بخلاف من خالف في الطرفين، فهو بين السقوط.

الرابع: في المحكوم عليه، وهو المكلف، ويشترط باتفاق المحققين في صحة التكليف بالشرعيات فهم المكلف لما كلف به، بمعنى تصوره بأن يفهم من الخطاب القدر الذي يتوقف عليه الامتثال، لا بمعنى التصديق به، فتقرر أن المجنون والصبي اللذين لا يميزان غير مكلفين؛ لأنهما لا يفهمان خطاب التكليف، ولزوم أرش جنايتهما من أحكام الوضع لا من أحكام التكليف، وقد ورد الدليل برفع التكليف قبل البلوغ، كحديث: «رفع القلم عن ثلاثة»، وهو وإن كان في طرده مقال، لكنه باعتبار كثرة طرده من قسم الحسن، وباعتبار تلقي الأمة له بالقبول لكونهم بين عامل به ومؤول له صار دليلاً قطعياً، ويؤيده حديث: «من أخضر مئزره فاقتلوه»، وأحاديث النهى عن قتل الصبيان حتى يبلغوا، وأحاديث أنه ﷺ كان لا يأذن في القتال إلا لمن بلغ سن التكليف، والأدلة في هذا الباب كثيرة، ولم يأت من خالف في ذلك بشيء يصلح لإيراده. ووقع الخلاف بين الأشعرية والمعتزلة، هل المعدوم مكلف أم لا؟ فذهب الأولون إلى الأول، والآخرون إلى الآخر.

المقصد الأول

الفصل الأول

فى الكتاب العزيز، وفيه فصول

فى تعريف الكتاب، فهو لغة يطلق على كل كتابة ومكتوب، ثم غلب فى عرف أهل الشرع على القرآن، والقرآن فى اللغة مصدر بمعنى القراءة، غلب فى العرف العام على المجموع المعين من كلام الله سبحانه المقروء بالسنة العباد، وهو فى هذا المعنى أشهر من لفظ الكتاب وأظهر، فلذا جعل تفسيراً له، فهذا تعريف الكتاب باعتبار اللغة، وهو التعريف اللفظى الذى يكون بمرادف أشهر، وأما حد الكتاب اصطلاحاً، فالأولى أن يقال: هو كلام الله المنزل على محمد ﷺ المتلو المتواتر، وهذا لا يرد عليه ما ورد على سائر الحدود^(١).

* * *

الفصل الثانى

اختلف فى المنقول أحاداً هل هو قرآن أم لا؟ فقيل: ما لم يتواتر فليس بقرآن، وقد ادعى أهل الأصول تواتر كل واحدة من القراءات السبع بل العشر، وليس على ذلك إثارة من علم، فإن هذه القراءات كل واحدة منها منقولة أحاديثاً، كما يعرف ذلك من يعرف أسانيد هؤلاء القراء وقراءاتهم، وقد نقل جماعة من القراء الإجماع على أن فى هذه القراءات ما هو متواتر وما هو آحاد، ولم يقل أحد منهم بتواتر كل واحدة من السبع فضلاً عن العشر.

والحاصل أن ما اشتمل عليه المصحف الشريف واتفق عليه القراء المشهورون فهو قرآن، وما اختلف فيه، فإن احتمل رسم المصحف قراءة كل واحد من المختلفين مع مطابقتها للوجه الإعرابى والمعنى العربى، فهى قرآن كلها، وإن احتمل بعضها دون بعض، فإن صح إسناد ما لم يحتمله الرسم، وكانت موافقة للوجه الإعرابى والمعنى العربى، فهى القراءة الشاذة، ولها حكم أخبار الآحاد فى الدلالة على مدلولها، سواء كانت من السبع أو غيرها. وأما ما لم يصح إسناده مما لم يحتمله الرسم، فليس بقرآن

(١) انظر: إحكام الأحكام للآمدى (٢٢٨/١)، التوضيح ومعه التلويح (٢٦/١)، إرشاد الفحول (١٥٢/١).

ولا ينزل منزلة الآحاد، وقد صح أن النبي ﷺ قال: «أقرأني جبريل على حرف، فلم أزل أستزيده حتى أقرأني على سبعة أحرف»^(١)، والمراد بها لغات العرب، فإنها بلغت إلى سبع، اختلفت في قليل من الألفاظ واتفقت في غالبها، فما وافق لغة من تلك اللغات فقد وافق المعنى العربى والإعرابى.

* * *

الفصل الثالث

فى المحكم والمتشابه من القرآن

لا خلاف فى وقوع النوعين فيه، لقوله سبحانه: ﴿منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات﴾ [آل عمران: ٧]، واختلف فى تعريفهما، فقليل المحكم ما له دلالة واضحة، والمتشابه ما له دلالة غير واضحة، فيدخل فى التشابه المجرى والمشارك، وقليل: المحكم الناسخ، والمتشابه المنسوخ، وقليل غير ذلك.

وحكم المحكم هو وجوب العمل به، وأما المتشابه فاختلف فيه على أقوال، والحق عدم جواز العمل به لقوله سبحانه: ﴿فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به﴾ [آل عمران: ٧]، والوقف على قوله: ﴿إلا الله﴾ متعين، ولا يصح القول بأن الوقف على قوله: ﴿والراسخون فى العلم﴾؛ لأن ذلك يستلزم أن يكون جملة: ﴿يقولون آمنا به﴾ حيالة ولا معنى لتقييد علمهم به بهذه الحالة الخاصة، وهى حال كونهم يقولون هذا القول، وليس ما ذكرناه من عدم جواز العمل بالمتشابه لعله كونه لا معنى له، فإن ذلك غير جائز، بل لعله قصور أفهام البشر عن العلم به، والاطلاع على مراد الله كما فى الحروف التى فى فواتح السور، فإنه لا شك أن لها معنى لم تبلغ أفهامنا إلى معرفته، فهى مما استأثر الله بعلمه^(٢).

* * *

(١) حديث صحيح، رواه البخارى (٤٩٩١)، ومسلم (٢٧٢/٨١٩)، وأحمد فى المسند (٣٤٥/١).
(٢) انظر: إحكام الأحكام للأمدى (٢٣٧/١، ٢٣٨)، مختصر ابن اللحام (ص ٧٣)، إرشاد الفحول (١٥٦/١).

الفصل الرابع

فى المعرب هل هو موجود فى القرآن أم لا؟

والمراد ما كان موضوعاً لمعنى عند غير العرب، ثم استعملته العرب فى ذلك المعنى، كإسماعيل، وإبراهيم، وإسحاق، ويعقوب ونحوها، ومثل هذا لا ينبغي أن يقع فيه خلاف، والعجب ممن نفاه، وهم الأكثرون على ما حكاه ابن الحاجب وشرح كتابه، ولم يأتوا بشيء يصلح للاستدلال به فى محل النزاع، وفى القرآن من اللغات الرومية، والهندية، والفارسية، والسريانية ما لا يحجده جاحد، ولا يخالف فيه مخالف^(١).

* * *

(١) انظر: إحكام الأحكام للأمدى (٦٩/١)، إرشاد الفحول للشوكانى (١٥٧/١).

المقصد الثاني فى السنة

وفيه أبحاث:

البحث الأول فى معنى السنة لغة وشرعاً

أما لغة^(١)، فهى الطريقة المسلوكة، وقيل: المحمودة، وقيل: المعتادة، حسنة كانت أو سيئة، كما فى الحديث الصحيح: «من سن سنة حسنة...» إلى آخره. وأما شرعاً^(٢)، فهى قول النبى ﷺ وفعله وتقريره، وتطبق بالمعنى العام على الواجب وغيره فى عرف أهل اللغة والحديث، وأما فى عرف أهل الفقه، فإنما يطلقونها على ما ليس بواجب، وتطبق على ما يقابل البدعة.

البحث الثانى

إنه قد اتفق من يعتد به من أهل العلم على أن السنة المطهرة مستقلة بتشريع الأحكام، وأنها كالقرآن فى تحليل الحلال وتحريم الحرام، وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «ألا وإنى أوتيت القرآن ومثله معه»^(٣)، أى من السنن التى لم ينطق بها القرآن، وذلك كتحريم لحوم الحمر الأهلية، وتحريم كل ذى ناب من السباع ومخلب من الطير، وغير ذلك مما لم يأت عليه الحصر، وما ورد من طريق توبان فى الأمر بعرض الأحاديث على القرآن، فقال يحيى بن معين: إنه موضوع وضعته الزنادقة.

وقال عبد الرحمن بن مهدي: الخوارج وضعوا حديث، ما آتاكم فاعرضوه على كتاب الله... إلى آخره، وقد عارض حديث العرض قوم، فقالوا: عرضنا هذا الحديث على كتاب الله فخالقه؛ لأننا وجدنا فيه: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [الحشر: ٧]. قال الأوزاعى: الكتاب أحوج إلى السنة من السنة إلى الكتاب.

(١) انظر: القاموس المحيط (٢٣٧/٤)، التلويح على التوضيح (٢/٢)، فواتح الرحموت (٩٦/٢)، نهاية السؤل (٤/٣)، إحكام الأمدى (٢٤١/١).

(٢) انظر: إحكام الأمدى (٢٤١/١)، نهاية السؤل (٤/٣)، مختصر ابن اللحام (ص ٧٤)، حاشية الشيخ بخيت على نهاية السؤل (٥/٣).

(٣) رواه أبو داود فى السنة (٤٦٠٤)، وأحمد فى المسند (١٦١/٤).

قال ابن عبد البر: يريد أنها تقضى عليه وتبين المراد منه. وقال يحيى بن أبى كثير: السنة قاضية على الكتاب والحاصل أن ثبوت حجية السنة المطهرة واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية ولا يخالف فى ذلك إلا من لا حظ له فى دين الإسلام.

البحث الثالث

ذهب الأكثر من أهل العلم إلى عصمة الأنبياء بعد النبوة من الكبراء، وحكى القاضى أبو بكر وابن الحاجب وغيرهما من متأخري الأصوليين إجماع المسلمين على ذلك^(١)، وكذا حكوا الإجماع على عصمتهم بعد النبوة مما يزرى بمناصبهم كذائل الأخلاق والدناءات وسائر ما ينفر عنهم، وهى التى يقال لها: صفات الخسة كسرقة لقمة والتطفيف بحبة، والدليل عليه عند المعتزلة وبعض الأشعرية الشرع والعقل، وعند القاضى أبى بكر وجماعة من محققى الشافعية والحنفية السمع فقط، وهكذا وقع إجماع على عصمتهم بعد النبوة من تعمد الكذب فى الأحكام الشرعية لدلالة المعجزة على صدقهم. وأما الكذب غلطاً، فمنعه الجمهور، وهو الأولى، وجوزه القاضى أبو بكر، واختلفوا فى معنى المعصية، ف قيل: هو أن لا يمكن المعصوم من الإتيان بالمعصية. وأما النسيان، فلا يمتنع وقوعه من الأنبياء، قيل: إجماعاً، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنما أنا بشر مثلكم، أنسى كما تنسون»، وحكى القاضى عياض الإجماع على امتناع السهو والنسيان فى الأقوال البلاغية، وخص الخلاف بالأفعال، وأن الأكثرين ذهبوا إلى الجواز. قال الآمدى: ذهب الأستاذ أبو إسحاق الأسفرائينى وكثير من الأئمة إلى امتناع النسيان. قال الزركشى فى البحر: ادعى الإمام الرازى فى بعض كتبه الإجماع على الامتناع.

البحث الرابع

فى أفعاله ﷺ، وهى تنقسم إلى سبعة أقسام:

الأول: ما كان من هواجس النفس والحركات البشرية، كتصرف الأعضاء وحركات الجسد، فهذا القسم لا يتعلق به أمر باتباع، ولا نهى عن مخالفة، وليس فيه

(١) قال الآمدى: الاتفاق من أهل الشرائع قاطبة على عصمة الأنبياء بعد النبوة عن تعمد كل ما يخل صدقهم فيما دلت المعجزة القاطعة على صدقهم من دعوى الرسالة والتبليغ عن الله. انظر: أحكام الأحكام (١/٢٤٣).

أسوة، ولكنه يفيد أن مثل ذلك مباح.

الثاني: ما لا يتعلق بالعبادات، ووضح فيه أمر الجبة كالقيام والقعود ونحوهما، فليس فيه تأس ولا به اقتداء، لكنه يدل على الإباحة عند الجمهور، وعند قوم أنه مندوب كما نقله القاضي أبو بكر الباقلاني، وكذا حكاه الغزالي في المنحول، وكان ابن عمر، رضى الله عنهما، يتتبع مثل هذا ويقتدى به، كما هو معروف عنه منقول في كتب السنة المطهرة.

الثالث: ما احتمل أن يخرج عن الجبلة إلى التشريع بمواظبته عليه على وجه معروف وهيئة مخصوصة كالأكل، والشرب، واللبس، والنوم، وفيه قولان للشافعي ومن معه، هل يرجع فيه إلى الأصل وهو عدم التشريع، أو إلى الظاهر وهو التشريع؟ والراجح الثاني، وحكاه أبو إسحاق عن أكثر المحدثين فيكون مندوباً.

الرابع: ما علم اختصاصه به ﷺ، كالوصال، والزيادة على أربع، فهو خاص به لا يشاركه فيه غيره، والحق أنا لا نفتدى به فيما صرح لنا بأنه خاص به كائناً ما كان إلا بشرع يَنْصُنَا.

الخامس: ما أبهمه ﷺ، كعدم تعيين نوع الحج مثلاً، فقل: يقتدى به في ذلك، وقيل: لا. قال إمام الحرمين في النهاية: وهذا عندي هفوة ظاهرة، فإن إبهامه ﷺ محمول على انتظار الوحي قطعاً، فلا مسأغ للاقتداء به من هذه الجهة.

السادس: ما يفعله مع غيره عقوبة له، كالتصرف في أملاك غيره، فقل: يجوز الاقتداء به، وقيل: لا، وقيل: هو بالإجماع موقوف على معرفة السبب، وهذا هو الحق، وأما إذا فعله بين شخصين متداعيين، فهو جار مجرى القضاء، فتعين علينا القضاء بما قضى به.

السابع: الفعل المجرد عما سبق، فإن ورد بيان كقوله ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أصلي»^(١)، و«خذوا عني مناسككم»^(٢)، وكالقطع من الكوع بياناً لآية السرقة، فلا خلاف أنه دليل في حقنا وواجب علينا، وإن ورد بياناً لمجمل، كان حكمه حكم ذلك

(١) حديث صحيح، رواه البخاري (٦٣١، ٦٥٨، ٦٨٥، ٧٢٤٦)، ومسلم (٦٧٤، ٢٤٤/٥)، وأحمد في المسند (٦٥/٥).

(٢) حديث صحيح، رواه البخاري (١٦٠٣) عن ابن عمر، ومسلم (١٢٩٧) عن جابر.

٢٩٦ مختصر إرشاد الفحول

المحمل من وجوب وندب، كأفعال الحج، والعمرة، وصلاة الفرض، وصلاة الكسوف، وإن لم يكن كذلك، بل ورد ابتداء، فإن علمت صفته في حقه من وجوب أو ندوب أو إباحة، فاختلفوا في ذلك على أقوال:

الأول: أن أمته مثله في ذلك الفعل، إلا أن دل دليل على اختصاصه، وهذا هو الحق. **والثاني:** أن أمته مثله في العبادات دون غيرها. **الثالث:** الوقف. **الرابع:** لا يكون شرعاً لنا إلا بدليل، وإن لم يعلم صفته في حقه وظهر فيه قصد القربة، فاختلف فيه على أقوال:

الأول: أنه للوجوب، وبه قال جماعة من المعتزلة، وابن شريح، وأبو سعيد الأصبخري، وابن أبي هريرة، واستدلوا على ذلك بالقرآن، والإجماع، والمعقول، ولا يتم. **الثاني:** أنه للندب، وحكاها الجويني في البرهان، والرازي في المحصول عن الشافعي، وحكى أيضاً عن القفال، وأبي حامد المروزي، واستدلوا بهم بالقرآن والإجماع والمعقول، فصله في إرشاد الفحول.

الثالث: أنه للإباحة، وهو قول مالك. **الرابع:** الوقف، وهو قول الصيرفي، وأكثر أصحاب الشافعي وأكثر المتكلمين، وعندى أنه لا معنى للوقف في الفعل الذي قد ظهر فيه قصد، فإن هذا القصد يخرج عن الإباحة إلى ما فوقها، والمتيقن مما هو فوقها الندب، وأما إذا لم يظهر فيه هذا القصد، بل كان مجرداً مطلقاً، فقد اختلف فيه بالنسبة إلينا على أقوال فصلها في إرشاد الفحول^(١).

البحث الخامس

في تعارض الأفعال^(٢)

والحق أنه لا يتصور ذلك، فإنه لا صيغ لها يمكن النظر فيها والحكم عليها، بل هي مجرد أكوان متغايرة واقعة في أوقات مختلفة، وهذا إذا لم تقع بيانات للأقوال، وأما إذا وقعت فقد تتعارض في الصورة، ولكن التعارض في الحقيقة راجع إلى المبيّنات من الأقوال لا إلى بيانها من الأفعال، وذلك كقوله ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أصلي»، فإن آخر الفعلين ينسخ الأول كآخر القولين؛ لأن هذا الفعل بمثابة القول.

(١) راجع إرشاد الفحول (١/١٧٢، ١٧٥).

(٢) التعارض بين الأمرين هو تقابلها على وجه يمنع كل واحد منهما مقتضى صاحبه، وانظر: نهاية السؤل للإسنوي (٣/٣٥).

البحث السادس

فى التعارض بين قوله، عليه السلام، وفعله

وفيه ثمانية وأربعون قسمًا، وقيل: تنتهى الأقسام إلى ستين قسمًا، وأكثر هذه الأقسام غير موجودة فى السنة، فلنتكلم على ما يكثر وجوده فيها، وهى أربعة عشر قسمًا:

الأول: أن يكون القول مختصًا به مع عدم وجود دليل يدل على التكرار والتأسى، وذلك نحو أن يفعل ﷺ فعلاً، ثم يقول بعده: لا يجوز لى مثل هذا الفعل، فلا تعارض بين القول والفعل.

الثانى: أن يتقدم القول مثل أن يقول: لا يجوز لى الفعل فى وقت كذا، ثم يفعله فيه، فيكون الفعل ناسخاً لحكم القول.

الثالث: أن يكون القول خاصاً به، ويجهل التاريخ، فلا تعارض فى حق الأمة، وأما فى حقه ففيه خلاف، وقد رجح الوقف.

الرابع: أن يكون القول مختصاً بالأمة، وحينئذ لا تعارض؛ لأن القول والفعل لم يتواردا على محل واحد.

الخامس: أن يكون القول عاماً له وللأمة، فيكون الفعل على تأخره مخصصاً له من عموم القول كصلاته بعد العصر قضاء لسنة الظهر بعد نهيه عن الصلاة بعد العصر.

السادس: أن يدل دليل على تكرار الفعل، وعلى وجوب التأسى فيه، ويكون القول خاصاً به، وحينئذ فلا معارضة فى الأمة، وأما فى حقه، فالمتأخر من القول أو الفعل ناسخ، فإن جهل التاريخ، ففيل: يؤخذ بالقول فى حقه، وقيل: بالفعل، وقيل: بالوقف.

السابع: أن القول خاص بالأمة مع قيام دليل التأسى والتكرار فى الفعل، فلا تعارض فى حقه، وأما فى حق الأمة، فالمتأخرة من القول أو الفعل ناسخ، وإن جهل التاريخ، ففيل: يعمل بالفعل، وقيل بالقول، وهو الراجح؛ لأن دلالة أقوى من دلالة الفعل.

الثامن: أن يكون القول عاماً له وللأمة، مع قيام الدليل على التكرار والتأسى، فالمتأخر ناسخ فى حقه ﷺ، وكذلك فى حقنا، وإن جهل التاريخ، فالراجح تقدم القول لما تقدم.

٢٩٨ مختصر إرشاد الفحول

التاسع: أن يدل الدليل على التكرار في حقه ﷺ دون التأسى به، ويكون القول خاصاً بالأمة، وحينئذ فلا تعارض أصلاً لعدم التوارد على محل واحد.

العاشر: أن يكون خاصاً به ﷺ مع قيام الدليل على عدم التأسى به، فلا تعارض أيضاً.

الحادي عشر: أن يكون القول عاماً له وللأمة مع عدم قيام الدليل على التأسى به في الفعل، فيكون الفعل مخصصاً له من العموم، ولا تعارض بالنسبة إلى الأمة لعدم وجود دليل يدل على التأسى به، وأما إذا جهل التاريخ، فالخلاف في حقه ﷺ كما تقدم في ترجيح القول على الفعل أو العكس أو الوقف.

الثاني عشر: إذا دل الدليل على التأسى دون التكرار، أو يكون القول مخصصاً به، فلا تعارض في حق الأمة، وأما في حقه، فإن تأخر القول، فلا تعارض، وإن تقدم فالفعل ناسخ في حقه، وإن جهل فالمذاهب الثلاثة في حقه كما تقدم.

الثالث عشر: أن يكون القول خاصاً بالأمة، فلا تعارض في حقه ﷺ، وأما في حق الأمة، فالتأخر ناسخ لعدم الدليل على التأسى.

الرابع عشر: أن يكون القول عاماً له مع قيام الدليل على التأسى دون التكرار، ففي حق الأمة المتأخر ناسخ، وأما في حقه ﷺ، فإن تقدم الفعل، فلا تعارض، وإن تقدم القول فالفعل ناسخ، ومع جهل التاريخ، فالراجح القول في حقنا وفي حقه ﷺ؛ لقوة دلالته وعدم احتمال، أو لقيام الدليل هاهنا على عدم التكرار^(١).

البحث السابع

في التقرير

وصورته أن يسكت النبي ﷺ عن إنكار قول قيل بين يديه أو في عصره وعلم به، أو سكت عن إنكار فعل فعل بين يديه أو في عصره وعلم به، فإن ذلك يدل على الجواز، كأكل الضب بحضرته. قال ابن القشيري: وهذا مما لا خلاف فيه، وإنما الخلاف فيما إذا دل التقرير على انتفاء الحرج، فهل يختص لمن قرر، أو يعم سائر المكلفين؟ فذهب القاضى إلى الأول، وذهب الجوينى إلى الثانى، وهو الحق، وهو قول الجمهور.

هذا إذا لم يكن التقرير مخصصاً لعموم سابق، أما إذا كان مخصصاً له، فيكون لمن قرر

(١) انظر: إحكام الأمدى (٢٧٩/١)، إرشاد الفحول (١/١٨١، ١٨٢)، إحكام الفصول (٣٠٩).

من واحد أو جماعة. وأما إذا كان التقرير في شيء قد سبق تحريمه، فيكون ناسخاً لذلك التحريم، كما صرح به جماعة من أهل الأصول، وهو الحق. ومما يندرج تحت التقرير إذا قال الصحابي: كنا نفعل كذا، وكانوا يفعلون كذا، وأضافه إلى عصر رسول الله ﷺ، وكان مما لا يخفى مثله عليه، وإن كان مما يخفى فلا^(١).

البحث الثامن

ما هم به ﷺ ولم يفعله

كما روى عنه أنه هم بمصالحة الأحزاب بثلاث ثمار المدينة ونحو ذلك، فقال الشافعي ومن تابعه: إنه يستحب الإتيان بما هم به ﷺ، ولهذا جعلوه من جملة أقسام السنة، وقالوا: يقدم القول، ثم الفعل، ثم التقرير، ثم الهم، والحق أنه ليس من أقسام السنة؛ لأنه مجرد خطور شيء على البال من دون تنجيز له، وليس ذلك مما آتانا الرسول ولا مما أمر سبحانه بالتأسي به فيه، وقد يكون إخباره ﷺ بما هم به للزجر كما صح عنه أنه قال: «لقد هممت أن أخالف إلى قوم لا يشهدون الصلاة، فأحرق عليهم بيوتهم»^(٢).

البحث التاسع

في الأخبار، وفيه أنواع

الأول: في معنى الخبر لغة واصطلاحاً، أما لغة فهو مشتق من الخبر، وهي الأرض الرخوة؛ لأن الخبر يثير الفائدة، كما أن الأرض الخبر تثير الغبار إذا قرعها الحافز ونحوه، وأما اصطلاحاً، فالأولى أن يقال: هو ما يصح أن يدخله الصدق والكذب لذاته، وهذا الحد لا يرد عليه شيء مما يرد على سائر الحدود المذكورة في كتب الأول.

الثاني: أن الخبر ينقسم إلى صدق وكذب، وخالف في ذلك القرافي، وأطال القوم في بيانه صدقه وكذبه وحدودهما، والذي يظهر لي أن الخبر لا يتصف بالصدق إلا إذا جمع بين مطابقة الواقع والاعتقاد، فإن خالفهما أو أحدهما فكذب، فيقال في تعريفهما

(١) انظر: إحكام الأمدي (٢٧٩/١)، إرشاد الفحول (١٨٢/١، ١٨٣)، إحكام الفصول (٣١٧)، ميزان الأصول (٤٦١)، تقريب الوصول (١١٧)، شرح الكوكب المنير (١٩٤/٢)، إجابة السائل للصنعاني (٨٨)، غاية الوصول (٩٢)، شرح تنقيح الفصول (٢٨٨، ٢٩٠)، بيان المختصر (٥٠٢/١)، المنحول (٢٩٩)، البرهان (٢٩٨/١)، شرح اللمع للشيرازي (٥٦٠/١).
(٢) حديث صحيح، رواه البخاري (١٢٧٤)، ومسلم (٦٥١)، وأبو داود (٥٤٨)، والترمذي (٢١٧)، والنسائي (٨٣١٢)، وابن ماجة (٧٩١)، وأحمد (٥١٢/١).

٣٠٠ مختصر إرشاد الفحول

هكذا: الصدق ما طابق الواقع والاعتقاد، والكذب ما خالفهما أو أحدهما، ولا يلزم على هذا ثبوت واسطة؛ لأن الاعتبار كلام العقلاء، ولا يرد عليه شيء مما ورد على سائر الحدود.

الثالث: في تقسيم الخبر من حيث احتمال الصدق والكذب، وهو ثلاثة أقسام: الأول: المقطوع بصدقه. الثاني: المقطوع بكذبه، وهما ضروب. الثالث: ما لا يقطع بصدقه ولا كذبه، وذلك كخبر المجهول، فإنه لا يترجح صدقه ولا كذبه، وقد يترجح صدقه ولا يقطع بصدقه كخبر العدل، وقد يترجح كذبه ولا يقطع كخبر الفاسق.

الرابع: أن الخبر ينقسم باعتبار آخر إلى متواتر وآحاد:

والتواتر في اللغة عبارة عن مجيء الواحد بعد الواحد بفترة بينهما، مأخوذ من الوتر. وفي الاصطلاح خبر جمع عن محسوس يمتنع تواطؤهم على الكذب من حيث كثرتهم. والعلم الحاصل بالتواتر ضروري عند الجمهور، ونظري عند الكعبي، وأبى الحسين البصري، وإنه قسم ثالث ليس أولياً ولا كسبياً عند الغزالي. وقال الآمدي بالوقف، والحق قول الجمهور للقطع بأننا نجد نفوسنا جازمة بوجود البلاد الغائبة عنا، ووجود الأشخاص الماضية قبلنا جزءاً خالياً عن التردد جارياً مجرى جزمنا بوجود المشاهدات، فالنكر لحصول العلم الضروري به كالنكر لحصوله بالمشاهدات، وذلك سفسطة لا يستحق صاحبها المكاملة.

والآحاد هو خبر لا يفيد بنفسه العلم أصلاً، أو يفيد بالقرائن الخارجية عنه، فلا واسطة بين المتواتر والآحاد، وهذا قول الجمهور. وقال أحمد بن حنبل: يفيد بنفسه العلم، وبه قال داود الظاهري. ونقل الشيخ^(١) في التبصرة عن بعض أهل الحديث أن منها ما يوجب العلم، كحديث مالك، عن نافع، عن ابن عمر. وقال أبو بكر القفال: إنه يوجب العلم الظاهر، وذهب الجمهور إلى وجوب العمل به، وأنه وقع التعبد به.

والخلاف في إفادة خبر الآحاد الظن أو العلم مقيد بما إذا كان لم ينضم إليه ما يقويه، وأما إذا انضم إليه ما يقويه أو كان مشهوراً أو مستفيضاً، فلا يجري فيه الخلاف المذكور، ولا نزاع في أن خبر الواحد إذا وقع الإجماع على العمل بمقتضاه فإنه يفيد العلم؛ لأن الإجماع عليه قد صيره من المعلوم صدقه، وهكذا خبر الواحد إذا تلقته الأمة

(١) يقصد به الشيرازي.

مختصر إرشاد الفحول ٣٠١

بقبول، فكانوا بين عامل به ومتأول له، ومن هذا القسم أحاديث صحيحى البخارى ومسلم، والتأويل فرع القبول.

وللعمل بخبر الواحد شروط، منها ما هو فى المخبر، أى الراوى، وهى خمسة:

الأول: التكليف، فلا تقبل رواية الصبى والمجنون، وهذا باعتبار وقت الأداء، أما لو تحملها صبياً وأداها مكلفاً، فقد أجمع السلف على قبولها كما فى رواية ابن عباس والحسين، ومن كان مماتلاً لهم كمحمود بن الربيع، فإنه روى حديث أنه ﷺ مع فيه حجة وهو ابن خمس سنين. واعتمد العلماء روايته.

الثانى: الإسلام، فلا تقبل رواية الكافر من يهودى أو نصرانى أو غيرهما إجماعاً، قاله الرازى فى المحصول، وقد اختلف فى قبول رواية المبتدع على أقوال، والحق أنه لا يقبل فيما يدعو إلى بدعة ويقويها لا فى غير ذلك. قال الخطيب: وهو مذهب أحمد، ونسبه ابن الصلاح إلى الأكثرين، قال: وهو أعدل المذاهب وأولاه^(١).

الثالث: العدالة، وأصلها فى اللغة الاستقامة، يقال: طريق عدل أو مستقيم، وتطلق على استقامة السيرة والدين، وهى شرط بالاتفاق، لكن اختلف فى معناها، فعند الحنفية عبارة عن الإسلام مع عدم الفسق، وعند غيرهم ملكة فى النفس تمنع عن اقتراف الكبائر وصغائر الخسة، كسرقة لقمة، والردائل المباحة كالبول فى الطريق، وقيل غير ذلك، والأولى أن يقال فى تعريفها: إنها التمسك بآداب الشرع، فمن تمسك بها فعلاً وتركاً، فهو العدل المرضى، ومن أخل بشئ منها، فإن كان الإخلال بذلك الشئ يقدح فى دين فاعله أو تاركه كفعل الحرام وترك الواجب، فليس بعدل.

الرابع: الضبط، فلا بد أن يكون الراوى ضابطاً لما يرويه ليكون المروى له على ثقة منه فى حفظه وقلة غلطه وسهوه، فإن كان كثير الغلط والسهو ردت روايته، إلا فيما علم أنه لم يغلط فيه ولا سهى عنه، وإن كان قليل الغلط قبل خبره، إلا فيما علم أنه غلط فيه، كذا قال ابن السمعانى وغيره، وليس من شرط الضبط اللفظ بعينه كما سيأتى.

الخامس: أن لا يكون الراوى مدلساً، سواء كان التدليس فى المتن أو فى الإسناد،

(١) انظر: المحصول للرازى (١٠٨/٢)، الإحكام للآمدى (٢٠/٢)، نهاية السؤل للإسنوى (٦٠/٣)،

٣٠٢ مختصر إرشاد الفحول

وهما أنواع. والحاصل أن من كان ثقة واشتهر بالتدليس، فلا يقبل إلا إذا قال: حدثنا، أو أخبرنا، أو سمعت، ولا إذا لم يقل كذلك، لاحتمال أن يكون قد أسقط من لا تقوم الحجة بمثله. ومنها ما هو في المخبر عنه، وهو مدلول الخبر، وهو أقسام:

الأول: أن لا يستحيل وجوده في العقل، فإن أحاله العقل رد. **الثاني:** أن لا يكون مخالفاً لنص مقطوع به على وجه لا يمكن الجمع بينهما بحال. **الثالث:** أن لا يكون مخالفاً لإجماع الأمة عند من يقول بأنه حجة قطعية، وأما إذا خالف القياس القطعي، فقال الجمهور: إنه مقدم على القياس، وقيل خلاف ذلك، والحق تقديم الخبر الخارج من مخرج صحيح أو حسن على القياس مطلقاً إذا لم يمكن الجمع بينهما بوجه من الوجوه، كحديث المصراة، وحديث العرايا، فإنهما مقدمان على القياس. وقد كان الصحابة والتابعون إذا جاءهم الخبر لم يلتفتوا إلى القياس ولا ينظروا فيه، وما روى عن بعضهم في بعض المواطن من تقديم القياس، فبعضه غير صحيح، وبعضه محمول على أنه لم يثبت الخبر عنده.

واعلم أنه لا يضر الخبر عمل أكثر الأئمة بخلافه؛ لأن قول الأكثر ليس بحجة، وكذا عمل أهل المدينة بخلافه خلافاً للمالك وأتباعه؛ لأنهم بعض الأمة، ولجواز أنهم لم يبلغهم الخبر، ولا يضره عمل الراوى له بخلافه خلافاً لجمهور الحنفية وبعض المالكية؛ لأننا معتبدون بما بلغ إلينا من الخبر، ولم نتعبد بما فهمه الراوى، ولم يأت من قدم عمل الراوى على روايته بحجة تصلح للاستدلال بها، ولا يضره كونه مما تعم به البلوى، خلافاً للحنفية، وأبى عبد الله البصرى، لعمل الصحابة والتابعين بأخبار الآحاد في ذلك، ولا يضره كونه في الحدود والكفارات خلافاً للكرخي من الحنفية، ولا وجه لهذا الخلاف، فهو خبر عدل في حكم شرعي، ولم يثبت في الحدود الكفارات دليل يخصها من عموم الأحكام الشرعية، ولا يضره أيضاً كونه زيادة على النص القرآني أو السنة القطعية خلافاً للحنفية، فقالوا: إذا ورد بالزيادة كان نسخاً لا قبل، والحق القبول؛ لأنها زيادة غير منافية للمزيد، فكانت مقبولة، ودعوى أنها ناسخة ممنوعة، وهكذا إذا ورد الخبر مخصصاً للعام من كتاب أو سنة، فإنه مقبول ويبنى العام على الخاص خلافاً لبعض الحنفية، وهكذا إذا ورد مقيداً لمطلق الكتاب أو السنة المتواترة، ولا يضره أيضاً كون راويه انفراد بزيادة فيه على ما رواه إذا كان عدلاً، فقد يحفظ الفرد ما لا يحفظه الجماعة، وبه قال الجمهور، وهذا في صورة عدم المنافاة، وإلا فرواية الجماعة أرجح. ومنها ما هو

مختصر إرشاد الفحول ٣٠٣

فى الخبر نفسه، وهو اللفظ الدال، فاعلم أن للراوى فى نقل ما يسمعه أحوالاً:

الأول: أن يرويه بلفظه، فقد أدى الأمانة كما سمعها، وذكر السؤال والسبب مع ذكر الجواب وما ورد على سبب أولى من الإهمال.

الثانى: أن يرويه بغير لفظه، بل بمعناه، وفيه ثمانية مذاهب، ولا يخلو أكثر ذلك من الحرج والمخالفة لما كان عليه السلف والخلف من الرواة كما تراه فى كثير من الأحاديث التى يرويها جماعة، فإن غالبها بأنها ألفاظ مختلفة مع الاتحاد فى المعنى المقصود.

والثالث: أن يحذف الراوى بعض الخبر، فينبغى أن ينظر، فإن كان المحذوف متعلقاً بالمحذوف منه تعلقاً لفظياً أو معنوياً لم يجز بالاتفاق، وإن لم يكن كذلك، فاختلفوا فيه على أقوال، وأنت خبير بأن كثيراً من الصحابة والتابعين والمحدثين يقتصرون على رواية بعض الخبر عند الحاجة إلى رواية بعضه، لاسيما فى الأحاديث الطويلة، كحديث جابر فى صفة حج النبى ﷺ ونحوه من الأحاديث، وهم قدوة لمن بعدهم فى الرواية، لكن بشرط أن لا يستلزم ذلك الاقتصاد على البعض مفسدة.

الرابع: أن يزيد الراوى على ما سمعه من النبى ﷺ، فإن كان ما زاده يتضمن بيان سبب الحديث أو تفسير معناه، فلا بأس بذلك، لكن بشرط أن يفهم السامع أنه من كلام راويه.

الخامس: أن يكون الخبر محمولاً لمعنيين متنافيين، فاقصر الراوى على أحدهما، فإن كان هو الصحابى كان تفسيره كالبيان لما هو المراد، وإن كان غيره، ولم يقع الإجماع على أنه المراد، فلا يصار إليه حتى يرد دليل على أن المراد أحدهما بعينه، والظاهر أن النبى ﷺ لا ينطق بما يحتمل المتنافيين لقصد التشريع ويخليه عن قرينة حالية أو مقالية.

السادس: أن يكون الخبر ظاهراً فى شىء، فيحمله الراوى من الصحابة على غير ظاهره، إما بصرف اللفظ عن حقيقته إلى مجازه، أو بأن يصرفه عن الوجوب إلى الندب، أو عن التحريم إلى الكراهة، ولم يأت بما يفيد صرفه عن الظاهر، فذهب الجمهور من أهل الأصول إلى أنه يعمل بالظاهر ولا يصار إلى خلافه بمجرد قول الصحابى أو فعله، وهذا هو الحق؛ لأننا متعبدون بروايته لا برأيه خلافاً لأكثر الحنفية.

المقصد الثالث

الإجماع، وفيه أبحاث^(١)

البحث الأول

في مسماه لغة واصطلاحاً

أما لغة، فهو العزم، قال تعالى: ﴿فاجمعوا أركانكم﴾ [يونس: ٧١]، وقال ﷺ: «لا صيام لمن لم يجمع من الليل»^(٢). وأما اصطلاحاً فهو اتفاق مجتهدي أمة محمد ﷺ بعد وفاته في عصر من الأعصار على أمر من الأمور، والمراد بالاتفاق الاشتراك في الاعتقاد أو القول أو الفعل.

البحث الثاني

في إمكانه في نفسه

فقال قوم بإحاطته، منهم النظام، وبعض الشيعة، قالوا: إن اتفاقهم على الحكم الواحد الذي لا يكون معلوماً بالضرورة محال، كما أن اتفاقهم في الساعة الواحدة على المأكول الواحد، والتكلم بالكلمة الواحدة محال، وذهب جمع إلى إمكانه في نفسه، وهو المقام الأول.

الثاني: على تقدير تسليم إمكانه في نفسه منع إمكان العلم به، فقد اتفقوا على أن الطريق إلى معرفته لا مجال للعقل فيها؛ لأن المعتبر فيه العلم بما يعتقد كل واحد من المجتهدين في تلك المسألة، وأنه يدين الله بذلك ظاهراً أو باطناً، ولا يمكنه معرفته بعينه. ومن ادعى أنه يتمكن الناقل للإجماع من معرفة كل من يعتبر فيه من علماء الدنيا، فقد أسرف في الدعوى، وجازف في القول، ورحم الله الإمام أحمد بن حنبل فإنه قال: من ادعى وجود الإجماع، فهو كاذب.

(١) انظر: المحصول (٣/٢)، إحكام الآمدي (٢٨٠/١)، نهاية السؤل للإسنوي (٢٣٧/٣)، المستصفى للغزالي (١٧٣/١)، فواتح الرحموت (٢١١/٢)، ومختصر الحبازي (ص ٧٤)، تيسير الوصول (١٣١٧/٣)، جمع الجوامع (١٨١/١)، والتحرير (٥٧٤/٢)، والعضد على ابن الحاجب (٣٠/٢)، وغاية المأمول في تحقيق منهاج الأصول للمزيدي.

(٢) رواه الترمذي (٩٩/٣) (٧٣٠)، والنسائي (١٦٦/٤)، ومالك في الموطأ (٢٨٨/٢)، والدارمي في سننه (١٢/٢) (١٦٩٨).

مختصر إرشاد الفحول ٣٠٥

الثالث: النظر في نقل الإجماع إلى من يحتج به، وهو مستحيل؛ لأن طريق نقله إما التواتر أو الآحاد، والعادة تحيل النقل تواتراً لبعد أن يشاهد أهل التواتر كل واحد من المجتهدين شرقاً وغرباً، ويسمعوا ذلك منهم، ثم ينقلوه إلى عدد متواتر ممن بعدهم، كذلك في كل طبقة إلى أن يتصل به، وأما الآحاد فغير معمول به في نقل الإجماع.

الرابع: اختلف على تقدير تسليم إمكانه في نفسه، وإمكان العلم به، وإمكان نقله إلينا، هل هو حجة شرعية؟ فذهب الجمهور إلى كونه حجة، وذهب النظام والإمامية وبعض الخوارج إلى أنه ليس بحجة، واختلف الجمهور هل الدليل على حجته العقل والسمع أم السمع فقط؟ فذهب أكثرهم إلى أنه السمع فقط، ومنعوا تبوته من جهة العقل؛ لأن العدد الكثير وإن بعد في العقل اجتماعهم على الكذب، فلا يعد اجتماعهم على الخطأ، كاجتماع الكفار على جحد النبوة. والدليل على تبوته هو قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

ومما استدلوا به من السنة، ما أخرجه الطبراني في الكبير، من حديث ابن عمر، أنه قال: «لن تجتمع أمتي على الضلالة»^(١)، فيكون ما أجمعوا عليه حقاً، ويحجب عنه بمنع كون الخطأ المظنون ضلالة، ومن جملة ما استدلوا به أيضاً ما أخرجه البخاري ومسلم، عن مغيرة، أنه رضي الله عنه قال: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون»، وإذا عرفت هذا حق معرفته، تبين لك ما هو الحق الذي لا شك فيه ولا شبهة، ولو سلمنا جميع ما ذكره القائلون بحجة الإجماع وإمكان العلم به، فغاية ما يلزم من ذلك أن يكون ما أجمعوا عليه حقاً، ولا يلزم من كون الشيء حقاً وجوب اتباعه، كما قالوا: إن كل مجتهد مصيب، ولا يجب على مجتهد آخر اتباعه، بل ولا يجب على المقلد اتباعه في ذلك الاجتهاد بخصوصه، وإذا تقرر لك هذا علمت ما هو الصواب.

البحث الثالث

اختلف القائلون بحجة الإجماع، هل هو حجة قطعية أو ظنية؟ فذهب جماعة إلى

(١) حديث صحيح، رواه أبو داود (٤٥٢/٤) بلفظ: «وأن لا تجتمعوا على ضلالة»، و«لا يجمع الله أمتي على ضلالة أبداً»، ورواه الحاكم في المستدرک (١١٦/١): «عليكم بالسواد الأعظم»، ورواه أبو نعيم في أخبار أصبهان (٢٠٨/٢)، ورواه مسلم بلفظ: «ومن أئنتم عليه خيراً وجبت له الجنة» (٩٤٩).

٣٠٦ مختصر إرشاد الفحول

الأول، وبه قال الصيرفي، وابن برهان، وحزم به من الحنفية الدبوسى، وشمس الأئمة. قال الأصفهاني: إن هذا القول هو المشهور، وإنه يقدم الإجماع على الأدلة كلها، ويكفر مخالفه، أو يضلل ويدع. وقال جماعة منهم الرازى والآمدى: إنه لا يفيد إلا الظن. وقال البزدوى، وجماعة من الحنفية: الإجماع مراتب، فإجماع الصحابة مثل الكتاب والخبر المتواتر، وإجماع من بعدهم بمنزلة المشهور من الأحاديث، والإجماع الذى سبق فيه الخلاف فى العصر السالف بمنزلة خبر الواحد. واختار بعضهم فى الكل أنه يوجب العمل لا العلم، فهذه مذاهب أربعة، ويتفرع عليها الخلاف فى كونه يثبت بأخبار الآحاد والظواهر أم لا؟ فذهب الجمهور إلى أنه لا يثبت بهما. قال القاضى فى التقريب: وهو الصحيح.

البحث الرابع

اختلفوا فى ما ينعقد به الإجماع، فقال جماعة: لا بد له من مستند أن أهل الإجماع ليس لهم الاستقلال بإثبات الأحكام، وحكى عبد الجبار عن قوم أنه يجوز أن يكون عن غير مستند، وهو ضعيف؛ لأن القول فى دين الله لا يجوز بغير دليل، ولهذا كانت الصحابة لا يرضى بعضهم من بعض بذلك، بل يتباحثون حتى أحوج بعضهم القول فى الخلاف إلى المبالغة، فثبت أن الإجماع لا يقع منهم إلا عن دليل، وجوز الشافعى الإجماع عن قياس، وهو قول الجمهور، ومنعه الظاهرية لأجل إنكارهم القياس، وإذا انعقد من غير دليل، فذهب الجمهور إلى أنه حجة، وقال قوم: إنه لا يكون حجة.

البحث الخامس

هل يعتبر فى الإجماع المجتهد المبتدع إذا كانت بدعته تقتضى تكفيره، فقيل: لا بلا خلاف، قاله الزركشى، وأما إذا اعتقد ما لا يقتضيه، بل التفضيل والتبديع، فاختلَفوا فيه على أقوال:

الأول: اعتبار قوله، قال الهنـدى: وهو الصحيح.

الثانى: لا يعتبر، وبه قال أهل السنة، ومالك، والأوزاعى، ومحمد بن الحسن، وأئمة الحديث، ومن الحنفية أبو بكر الرازى، ومن الحنابلة القاضى أبو يعلى.

الثالث: أنه لا ينعقد عليه الإجماع، وينعقد على غيره، يعنى أنه يجوز له مخالفة من عداه إلى ما أدى إليه اجتهاده، ولا يجوز لأحد أن يقلده، كذا حكاه الآمدى وتابعه المتأخرون.

مختصر إرشاد الفحول ٣٠٧

الرابع: التفصيل بين داعية وغير داعية. نقله ابن حزم فى كتاب الأحكام، عن جماهير سلفهم من المحدثين، قال: وهو قول فاسد.

قال القاضى أبو بكر، والأستاذ أبو إسحاق: إنه لا يعقد بخلاف من أنكر القياس، ونسبه الأستاذ إلى الجمهور، وتابعهم إمام الحرمين، والغزالي. قال النووي فى باب السواك من شرح صحيح مسلم: مخالفة داود لا تقدر فى انعقاد الإجماع على المختار الذى عليه الأكثرون والمحققون.

البحث السادس

إذا أدرك التابعى عصر الصحابة، وهو من أهل الاجتهاد لم ينعقد إجماعهم إلا به، حكاه جماعة. قال القاضى عبد الوهاب: إنه الصحيح، ونقله السرخسى من الحنفية عن أكثر أصحابهم. وقال جماعة: لا يعتبر، وهو مروي عن ابن علية، ونفاة القياس، وابن خوازمداد، واختاره ابن برهان فى الوجيز.

البحث السابع

إجماع الصحابة حجة بلا خلاف، خلافاً لقوم من المبتدعة، وذهب داود الظاهري إلى اختصاص حجية الإجماع بإجماع الصحابة، وهو ظاهر كلام ابن حبان فى صحيحه، وهذا هو المشهور عن الإمام أحمد. وقال أبو حنيفة: إذا أجمعت الصحابة على شىء سلمنا، وإذا أجمع التابعون زاحمناهم.

البحث الثامن

إجماع أهل المدينة على انفرادهم ليس بحجة عند الجمهور؛ لأنهم بعض الأمة^(١). وقال مالك: إذا أجمعوا لم يعتد بخلاف غيرهم. قال الباجي: إنما أراد ذلك بحجية إجماع أهل المدينة فيما كان طريقه النقل المتقيض كالصاع، والمد، والأذان، والإقامة، وعدم وجوب الزكاة فى الخضروات مما يقتضى العادة بأن يكون فى زمن النبى ﷺ، فإنه لو تغير عما كان عليه لعلم، فأما مسائل الاجتهاد فهم وغيرهم سواء. قال القاضى عبد

(١) انظر تفصيل هذه المسألة فى: المعتمد (٤٨٣/٢)، إحكام ابن حزم (١٤٧/٤)، والنبد له (ص ١٨)، وشرح اللمع لستيرازى (٧٠٢/٢)، والتبصرة له (٣٥٩)، وإحكام الفصول للبايجي (٤٨٦)، والبرهان للجويني (٧٢٠/١)، والمستصفي للغزالي (١٨٥/١)، والتمهيد لأبى الخطاب (٢٥٦/٣)، والإحكام للأمدى (١٧٠/١)، وروضة الناظر (٣٧٢/١)، وشرح تنقيح الفصول (ص ٣٤١).

٣٠٨ مختصر إرشاد الفحول

الوهاب: إجماعهم على ضربين: نقلی، وهو حجة يجب عندنا المسير إليه، وترك الأخبار والمقاييس به. واستدلالي، واختلف فيه أصحابه في ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه ليس بإجماع ولا بمرجح. وثانيها: أنه مرجح. وثالثها: أنه حجة، وإن لم يحرم خلافه. والاستدلالي إن عارضه خبر، فالخبر أولى عند جمهورهم، وعند جماعة بالعكس، وكذلك إجماع أهل الحرمين بمكة والمدينة، وأهل المصرين البصرة والكوفة ليس بحجة؛ لأنهم بعض الأئمة، ومن زعم أنه حجة، فلا وجه لذلك. وذهب الجمهور إلى أن إجماع الأئمة الأربعة أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، ليس بحجة؛ لأنهم بعض الأمة. وروى عن أحمد أنه حجة، وذهب الجمهور أيضًا إلى أن إجماع الخلفاء الأربعة ليس بحجة؛ لأنهم بعض الأمة. وذهب بعضهم إلى أنه حجة، والحق هو الأول، وذهبوا أيضًا إلى أن إجماع العترة وحدها ليس بحجة خلافاً للزيدية والإمامية.

البحث التاسع

في الإجماع السكوتي

وهو أن يقول بعض أهل الاجتهاد بقول، وينتشر ذلك في المجتهدين من أهل ذلك العصر، فيسكتون ولا يظهر منهم اعتراف ولا إنكار، وفيه مذاهب:

الأول: أنه ليس بإجماع ولا حجة، قاله داود الظاهري، وابنه، وهو آخر أقوال الشافعي.

الثاني: أنه إجماع وحجة، وبه قال جماعة من الشافعية وأهل الأصول. قال أبو حامد الأسفرايني: هو حجة مقطوع بها.

الثالث: أنه حجة وليس بإجماع، وبه قال الصيرفي واختاره الآمدي. قال الصفي الهندي: ولم يصبر أحد إلى عكسه، يعني أنه إجماع لا حجة، ويمكن القول به كالإجماع المروي بالآحاد عند من لم يقل بحجته.

الرابع: أنه إجماع بشرط انقراض العصر؛ لأنه يبعد مع ذلك أن يكون السكوت لا عن رضا، وبه قال أكثر أصحاب الشافعي، واختاره ابن القطان والزوياني. قال الرافعي: إنه أصبح الأوجه عندهم.

الخامس: أنه إجماع إن كان فتياً لا حكماً، وبه قال ابن أبي هريرة، واحتج بقوله: إنا نحضر مجلس بعض الحكام ونراهم يقضون بخلاف مذهبنا ولا ننكر ذلك عليهم، فلا يكون سكوتنا رضا منا بذلك.

مختصر إرشاد الفحول ٣٠٩

السادس: أنه إجماع إن كان صادراً عن حكم لا عن قتي، قاله أبو إسحاق المروزي، وحكاه ابن القطان عن الصيرفي.

السابع: أنه إن وقع في شيء يفوت استدراكه من إراقة دم، أو استباحة فرج كان إجماعاً، وإلا فهو حجة، حكاه الزركشي ولم ينسبه إلى قائل.

الثامن: إن كان الساكتون أقل كان إجماعاً وإلا فلا، قاله أبو بكر الرازي، وحكى عن الشافعي، وهو غريب لا يعرفه أصحابه.

التاسع: إن كان في عصر الصحابة كان إجماعاً وإلا فلا.

العاشر: إن كان مما يدوم ويتكرر وقوعه والخوض فيه، فإنه يكون إجماعاً، وبه قال الجويني.

الحادي عشر: إنه إجماع بشرط إفادة القرائن العلم، وذلك بأن يوجد من قرائن الأحوال ما يدل على رضا الساكتين بذلك القول، واختاره الغزالي في المستصفى، وقال بعض المتأخرين: إنه أحق الأقوال.

الثاني عشر: أنه يكون حجة قبل استقرار المذاهب لا بعدها، فإنه لا أثر للسكوت لما تقرر عند أهل المذاهب من عدم إنكار بعضهم على بعض، بل إذا أفنى واحد حكم مذهبه مع مخالفته لمذهب غيره، وهذا التفصيل لا بد منه على جميع المذاهب السابقة.

البحث العاشر

هل يجوز الإجماع على شيء قد وقع الإجماع على خلافه؟ فقل: إن كان الإجماع الثاني من المجمعين على الحكم الأول، كما لو اجتمع أهل مصر على حكم، ثم ظهر لهم ما يوجب الرجوع عنه وأجمعوا عليه، ففي جواز الرجوع خلاف مبنى على الخلاف المتقدم في اشتراط انقراض عصر أهل الإجماع، فمن اعتبره جوز ذلك، ومن لم يعتبره لم يجوزه. وأما إذا كان الإجماع من غيرهم، فمنعه الجمهور، وجوزه أبو عبد الله البصري، قال الرازي: وهو الأولى.

البحث الحادي عشر

لا اعتبار بقول العوام في الإجماع لا وفاقاً ولا خلافاً عند الجمهور؛ لأنهم ليسوا من أهل النظر في الشرعيات، ولا يفهمون الحجة، ولا يعقلون البرهان، وقيل: يعتبر قولهم؛

٣١٠ مختصر إرشاد الفحول

لأنهم من جملة الأمة، وهذا محكى عن بعض المتكلمين، واختاره الآمدى. قال الجوينى: حكم المقلد حكم العامى فى ذلك، إذ لا واسطة بين المقلد والمجتهد.

البحث الثانى عشر

الإجماع المعتبر فى فنون العلم هو إجماع أهل ذلك الفن العارفين به دون من عداهم، فالمعتبر فى الإجماع فى المسائل الفقهية قول جميع الفقهاء، وفى المسائل الأصولية قول جميع الأصوليين، وفى المسائل النحوية قول جميع النحويين ونحو ذلك، ومن عدا أهل ذلك الفن هو فى حكم العوام، فمن اعتبرهم فى الإجماع اعتبر غير أهل الفن، ومن لا فلا.

البحث الثالث عشر

إذا خالف أهل الإجماع واحد من المجتهدين فقط، فذهب الجمهور إلى أنه لا يكون إجماعاً ولا حجة. قال الغزالى: المذهب أنه ينعقد مع مخالفة الأقل، وقيل: حجة وليس بإجماع، ورجحه ابن الحاجب، وقيل: لا ينعقد مع مخالفة الاثنين دون الواحد، وقيل: مع الثلاثة دون الاثنين، وقيل: إن استوعب الجماعة الاجتهاد فى ما يخالفهم كان خلاف المجتهد معتداً به، كخلاف ابن عباس فى العول، وإن أنكروه لم يعتد بخلافه، وبه قال الرازى، والجرجانى من الحنفية، قال السرخسى: إنه الصحيح.

البحث الرابع عشر

الإجماع المنقول بطريق الآحاد حجة، وبه قال الماوردى، وأمام الحرمين الآمدى، ونقل عن الجمهور اشتراط عدم التواتر، وحكى الرازى فى المحصول عن الأكثر أنه ليس بحجة. قال الأستاذ: وإذا لم يبق فى العصر إلا مجتهد واحد، فقوله حجة كالإجماع، ويجوز أن يقال للواحد أمة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠]، ونقله الصفى الهندى عن الأكثرين، قال الزركشى فى البحر: وبه جزم ابن شريح فى كتاب الودائع، وكذا إن حصل من اثنين أو ثلاثة.

خاتمة

قول القائل: لا أعلم خلافاً بين أهل العلم فى كذا، قال الصيرفى: لا يكون إجماعاً؛ لجواز الاختلاف، وكذا قال ابن حزم فى الأحكام. وقال فى كتاب الإعراب: أن الشافعى نص عليه فى الرسالة، وكذلك أحمد بن حنبل، وقال ابن القطان: قول القائل: لا أعلم خلافاً، إن كان من أهل العلم فهو حجة، وإن لم يكن من الذين كشفوا

مختصر إرشاد الفحول ٣٩١

الإجماع والاختلاف، فليس بحجة، والحق أن فوق كل ذي علم عليم، فإذا تتبع أحد ما ظهر عن أمثال الإمام مالك والشافعي من إنكار وجود الخلاف في غير واحد من المسائل مع ثبوته عن قبلهم وعن معاصريهم من الصحابة والتابعين وتابعهم، لم يتردد في الأمر بعد ذلك^(١).

* * *

(١) انظر: إحكام الأمدى (٣٥٨/١)، والمحصول (٧٣/٢، ٧٤)، وإحكام ابن حزم (٥٠٣/٤).

المقصد الرابع

في الأوامر والنواهي، والعموم والخصوص، والإطلاق والتقييد، والإجمال والتبيين، والظاهر والمأول، والمنطوق والمفهوم، والناسخ والمنسوخ، وفيه أبواب

الباب الأول في مباحث الأمر^(١)، وفيه فصول

الأول: أن لفظ الأمر حقيقة في القول المخصوص، وزعم بعضهم أنه حقيقة في الفعل أيضاً، والجمهور على أنه مجاز فيه، وزعم أبو الحسين أنه مشترك، والمختار هو الأول، قال في المحصول.

الثاني: اختلفوا في حد الأمر بمعنى القول وأطالوا فيه، ولا يخلو عن إيراد عليه، والأولى بالأصول تعريف الأمر الصيغي؛ لأن بحث هذا العلم على الأدلة السمعية، وهي الألفاظ الموصلة من حيث العلم بأحوالها من عموم وخصوص وغيرهما إلى قدرة إثبات الأحكام، وهو في اصطلاح أهل العربية صيغته المعلومة، سواء كانت على سبيل الاستعلاء أو لا، وعند أهل اللغة هي المستعملة في الطلب الجازم مع الاستعلاء، هذا باعتبار لفظ الأمر هو ألف ميم راء، بخلاف فعل الأمر، نحو اضرب، فإنه لا يشترط فيه ما ذكر، بل يصدق مع العلو وعدمه، وعلى هذا أكثر أهل الأصول، ولم يعتبر الأشعري قيد العلو، وتابعه أكثر الشافعية، واعتبره المعتزلة جميعاً، إلا أبا الحسين منهم، ووافقهم أبو إسحاق، وابن السمعاني من الشافعية.

الثالث: اختلف أهل العلم في صيغة الفعل، وما في معناه، هل هي حقيقة في الوجوب، أو فيه مع غيره، فذهب الجمهور إلى أنها حقيقة في الوجوب فقط، وصححه ابن الحاجب والبيضاوي. قال الرازي: وهو الحق. وذكر الجويني أنه مذهب الشافعي. وقال أبو هاشم وعامة المعتزلة وجماعة من الفقهاء: إنها حقيقة في الندب. وقال الأشعري والقاضي بالوقف، وقيل: إنها مشتركة اشتراكاً لفظياً بين الوجوب والندب

(١) راجع ما يتعلق بالأمر في: البرهان للجويني (١/١٩٩)، شرح الكوكب المنير (٣/٥)، المحصول للرازي (١/١٩٢)، وأصول السرخسي (١/١١)، وفواتح الرحموت (١/٣٦٧)، وشرح العضد على ابن الحاجب (٢/٧٦)، المستصفي للغزالي (١/٤١١)، والإبهاج لابن السبكي (٢/٣)، الإحكام للأمدى (٢/١٣٠)، الموافقات (٣/١١٩)، والقواعد والفوائد الأصولية (ص ١٥٨).

مختصر إرشاد الفحول ٣١٣

والإباحة. وقال جمهور الشيعة باشتراكها بين الثلاثة المذكورة والتهديد، واستدل كل أهل مذهب بما عنده من الأدلة، وأجاب مخالفوهم عنها بأجوبة.

ولا ريب أن الراجح ما ذهب إليه الجمهور من أنها حقيقة في الوجوب، فلا تكون لغيره من المعاني إلا بقرينة، ومن أنكر استحقاق العبد المخالف لأمر سيده للذم، وأنه يطلق عليه بمجرد هذه المخالفة اسم العصيان، فهو مكابر مباهت، وهذا يقطع النزاع باعتبار العقل، وأما باعتبار ما ورد في الشرع وما ورد من حمل أهله للصيغ المطلقة من الأوامر على الوجوب، ففصله في الإرشاد، ولم يأت من خالف هذا بشيء يعتد به أصلاً، وهذا النزاع إنما هو في المعنى الحقيقي للصيغة، وأما مجرد استعمالها، فقد يستعمل في معان كثيرة. قال الرازي في المحصول: قال الأصوليون: صيغة افعل مستعملة في خمسة عشر وجهًا، وارجع للتفصيل إلى إرشاد الفحول.

الرابع: ذهب جماعة من المحققين إلى أن صيغة الأمر باعتبار الهيئة الخاصة موضوعة لمطلق الطلب من غير إشعار بالوحدة والكثرة، واختاره الحنفية، والآمدي، وابن الحاجب، والجويني، والبيضاوي. قال السبكي: وأراه رأى أكثر أصحابنا، يعني الشافعية، إلا أنه لما لو يمكن تحصيل المأمور به بأقل من مرة، صارت من الضروريات. وقال جماعة: إن صيغة الأمر تقتضي المرة الواحدة لفظًا، وعزاه أبو إسحاق إلى أكثر الشافعية، وقال: إنه مقتضى كلام الشافعي، وإنه الصحيح الأشبه بمذاهب العلماء، وبه قال جماعة من قدماء الحنفية، وقال جماعة: إنها تدل على التكرار مدة العمر مع الإمكان، وبه قال أبو إسحاق الشيرازي، والأستاذ أبو إسحاق الأسفرايني، وجماعة من الفقهاء والمتكلمين.

وقيل بالوقف، وبه قال القاضي أبو بكر، وجماعة، وروى عن الجويني، والقول الأول هو الحق الذي لا محيص عنه، ولم يأت أهل الأقوال المخالفة له بشيء يعتد به، هذا إذا كان الأمر مجردًا عن التعيين بعة أو صفة أو شرط، أما إذا كان معلقًا بشيء من هذه، فإن كان معلقًا على علة، فقد وقع الإجماع على وجوب اتباع العلة وإثبات الحكم بثبوتها، فإذا تكررت تكرر، وإن كان معلقًا على شرط أو صفة، فإن كان فيهما ما يدل على التكرار تكرر وإلا فلا. والحاصل أنه لا دلالة للصيغة على التكرار إلا بقرينة تفيد ذلك وتدل عليه، لأن حصلت حصل التكرار وإلا فلا.

٣١٤ مختصر إرشاد الفحول

الخامس: اختلف في الأمر، هل يقتضى الفور أم لا^(١)؟ فالقائلون بأنه يقتضى التكرار يقولون: بأنه يقتضى الفور، وأما من عداهم، فيقولون: المأمور به لا يخلو إما أن يكون مقيداً بوقت يفوت الأداء بفواته أو لا، وعلى الثاني يكون لمجرد الطلب، فيجوز التأخير على وجه لا يقوت المأمور به، وهذا هو الصحيح عند الحنفية، وزى إلى الشافعي وأصحابه، واختاره الرازي، والآمدي، وابن الحاجب، والبيضاوي، قال في المحصول: والحق أنه موضوع لطلب الفعل على الفور، وطلبه على التراخي من غير أن يكون في اللفظ إشعار بخصوص كونه فوراً أو تراخياً، وقيل: إنه يقتضى الفور، فيجب الإتيان به في أول أوقات الإمكان للفعل المأمور به.

والحق قول من قال: إنه لمطلق الطلب من غير تقييد بفور ولا تراخ، ولا ينافي هذا اقتضاء بعض الأوامر للفور، كقول القائل: اسقني، اطعمني، فإنما ذلك هو من حيث أن مثل هذا الطلب يراد منه الفور، فكان ذلك قرينة على إرادته به، وليس النزاع في مثل هذا، إنما النزاع في الأوامر المجردة عن الدلالة على خصوص الفور أو التراخي.

السادس: ذهب الجمهور من أهل الأصول ومن الحنفية والشافعية والمحدثين إلى أن الشيء المعين إذا أمر به كان ذلك الأمر به نهياً عن الشيء المعين المضاد له، سواء كان

(١) هل الأمر يقتضى الفور أم التراخي؟ في المسألة عدة مذاهب:

الأول: أنه على التراخي، وهذا قول أكثر الحنفية وأكثر الشافعية والمعتزلة.

الثاني: أنه يقتضى الفور، وهو مذهب الحنابلة، والمالكية، والظاهرية، وبعض الشافعية، وأبي الحسن الكرخي من الحنفية.

الثالث: الوقف في الفور والتراخي، وهو مذهب أكثر الأشاعرة، واختيار إمام الحرمين في البرهان.

الرابع: أن الأمر لا يدل على الفور ولا على التراخي، بل يدل على طلب الفعل، وهو ما صححه الإمام الرازي، والآمدي، وابن الحاجب، والإسنوي، وقال إمام الحرمين في البرهان: إنه ينسب إلى الشافعي، وهو الأليق بتفريعاته في الفقه.

وانظر توجيه هذه المذاهب في: العدة (٢٨١/١)، روضة الناظر (٦٢٣/٢)، المسودة (ص ٢٣)، التمهيد لأبي الخطاب (٢١٥/١)، وكشف الأسرار (٥٢٠/١)، فواتح الرحموت (٢٨٧/١)، وأصول الجصاص (١٠٥/٢)، والسرخسي (٢٦/١)، والإحكام لابن حزم (٢٩٤/٣)، والبرهان للجوني (٢٣١/١)، وإحكام الآمدي (١٦٥/٢)، والمحصول للرازي (١٨٩/٢)، وتيسير التحرير (٣٥٦/١)، ونهاية السؤل (٥٩/٢)، وشرح العضد على ابن الحاجب (٨٣/٢)، وإحكام الفصول للباقي (ص ٢١٢)، والقواعد والفوائد الأصولية (ص ١٧٩).

مختصر إرشاد الفحول..... ٣١٥

الضد واحداً، كما إذا أمره بالإيمان، فإنه يكون نهياً عن الكفر، وإذا أمره بالحركة، فإنه يكون نهياً عن السكون، أو كان الضد متعدياً كما إذا أمره بالقيام، فإنه يكون نهياً عن القعود والاضطجاع والسجود وغير ذلك، وقيل: ليس نهياً عن الضد، ولا يقتضيه عقلاً، واختاره الجويني، والغزالي، وابن الحاجب، وقيل: إنه نهى عن واحد من الأضداد غير معين، وبه قال جماعة من الحنفية والشافعية والمحدثين.

السابع: اختلفوا هل القضاء بأمر جديد أو بالأمر الأول؟ وهذه المسألة لها صورتان: الصورة الأولى الأمر المقيد، كما إذا قال: افعَل في هذا الوقت، فلم يفعل حتى مضى، فالأمر الأول هل يقتضى إيقاع ذلك الفعل فيما بعد ذلك الوقت؟ فقيل: لا يلزم القضاء إلا بأمر جديد، وهو الحق، وإليه ذهب الجمهور. الصورة الثانية الأمر المطلق، وهو أن يقول: افعَل، ولا يقيد بزمان معين، فإذا لم يفعل المكلف ذلك في أول أوقات الإمكان، فهل يجب فعله فيما بعد أو يحتاج إلى دليل؟ والحق أن الأمر المطلق يقتضى الفعل من غير تقييد بزمان، فلا يخرج المكلف عن عهده إلا بفعله، وهو أداء وإن طال التراخي؛ لأن تعيين بعض أجزاء الوقت له لا دليل عليه، واقتضاؤه الفور لا يستلزم أنه بعد أوقات الإمكان قضاء، بل غاية ما يستلزمه أن يكون المكلف آتماً بالتأخير عنه إلى وقت آخر.

الثامن: اختلفوا إذا تعاقب أمران بمتماثلين نحو أن يقول: صل ركعتين، صل ركعتين، هل يكون الثانى للتأكيد فيكون المطلوب الفعل مرة واحدة، أو للتأسيس فيكون المطلوب الفعل مكرراً؟ فقال بعض الشافعية: إنه للتأكيد، وذهب الأكثر إلى أنه للتأسيس. وقال أبو بكر الصيرفي بالوقف، وبه قال أبو الحسين البصري، والتأسيس راجح، والوقف باطل، وهذا في صورة الاتحاد، وأما في التغير نحو: صل ركعتين، صم يوماً، فلا خلاف في أن العمل بهما متوجه، وهكذا في الاتحاد إذا قامت قرينة على غرادة التأكيد نحو صم اليوم، صم اليوم، نحو صل ركعتين، صل ركعتين، فإن التقييد باليوم وتعريف الثانى يفيد أن المراد بالثانى الأول.

الباب الثاني

فى النواهى^(١)، وفيه ثلاثة مباحث

الأول: أن النهى فى اللغة معناه المنع، وهو فى الاصطلاح القول الإنشائي الدال على طلب كف عن فعل على جهة الاستعلاء، فنخرج الأمر؛ لأنه طلب فعل غير كف، وخرج الالتماس والدعاء؛ لأنه لا استعلاء فيهما، وأوضح صيغ النهى: لا تفعل كذا، أو نظائرها، ويلحق بها اسم لا تفعل من أسماء الأفعال كـمه، فإن معناه لا تفعل.

الثاني: اختلفوا فى معنى النهى الحقيقى، فذهب الجمهور إلى أن معناه الحقيقى هو التحريم، وهو الحق، ويرد فيما عداه مجازاً، كما فى قوله ﷺ: «لا تصلوا فى مبارك الإبل»^(٢)، فإنه للكرهية، وكما فى قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فإنه للدعاء. والحاصل أنه يرد مجازاً لما ورد له الأمر كما تقدم، ولا يخالف الأمر إلا فى كونه يقتضى التكرار فى جميع الأزمنة، وفى كونه للفور، فيجب ترك الفعل فى الحال، قيل: ويخالف الأمر أيضاً فى كون تقدم الوجود قرينة دالة على أنه بإباحة، وقيل: إنه حقيقة فى الكراهة، وقيل: إنه مشترك بين التحريم والكراهة، وقالت الحنفية: إنه يكون للتحريم إذا كان الدليل قطعياً، ويكون للكرهية إذا كان الدليل ظنياً، ورد بأن النزاع إنما هو فى طلب الترك، وهذا طلب قد يستفاد بقطعى فيكون قطعياً، وقد يستفاد بظنى فيكون ظنياً.

الثالث: فى اقتضاء النهى للفساد، فذهب الجمهور إلى أنه يقتضى الفساد المرادف للبطلان، سواء كان الفعل حسياً كالزنا، وشرب الخمر، أو شرعياً كالصلاة والصوم، والمراد عندهم أنه يقتضيه شرعاً لا لغة، وقيل: يقتضى لغة كما يقتضيه شرعاً، وقيل: لا يقتضى إلا فى العبادات فقط دون المعاملات، وبه قال أبو الحسين البصرى، والغزالي،

(١) انظر: المعتمد (١٠٦/١)، العدة (٣٦٨/٢)، التبصرة (٨٩)، شرح اللمع للشيرازى (٢٩٦/١)، البرهان (٢٥٠/١)، وإحكام الفصول (٢٢٨)، وأصول السرخسى (٩٤/١)، والمستصفى (٨١/١)، التمهيد لأبى الخطاب (٣٢٩/١، ٣٦٤)، والوصول لابن برهان (١٦٤/١)، ميزان الأصول (١٤٣)، وروضة الناظر (١٣٣/١)، تحريج الفروع للزنجاني (٢٥١)، التحصيل (٣١٠/١)، المسودة (٨١)، بيان المختصر (٤٨/٢)، وفواتح الرحموت (٩٧/١)، شرح الكوكب المنير (٥١/٣)، وغاية الوصول (٦٦)، وإجابة السائل للصنعاني (ص ٢٨٩)، وشرح العضد (٨٥/٢)، الرسالة للشافعى (٢١٧، ٣٤٣).

(٢) حديث صحيح، رواه أبو داود (١٣٠/١) (٤٩٣)، وأحمد فى المسند (١٨٥/٤).

والرازي، وابن الملاحمي، والرصاص. وذهبت الحنفية إلى أن ما لا يتوقف معرفته على الشرع كالزنا وشرب الخمر، يكون النهي عنه لعينه، ويقتضى الفساد، وما يتوقف معرفته على الشرع، فالنهي عنه لغيره، فلا يقتضى الفساد، ولم يستدلوا على ذلك بدليل مقبول، والحق أن كل نهى من غير فرق بين العبادات والمعاملات يقتضى تحريم المنهى عنه وفساده المرادف للبطلان اقتضاء شرعياً، ولا يخرج عن ذلك إلا ما قام الدليل على عدم اقتضائه لذلك، فيكون هذا الدليل قرينة صارفة له عن معناه الحقيقي إلى معناه المجازي، هذا إذا كان النهي عن الشيء لذاته أو لجزئه.

أما لو كان النهي عنه لوصفه، كالنهي عن عقد الربا؛ لاشتماله على الزيادة، فذهب الجمهور إلى أنه لا يدل على فساد المنهى عنه، بل على فساد نفس الوصف، وذهب جماعة إلى أنه يقتضى فساد الأصل، وأما النهي عن الشيء لغيره نحو النهي عن الصلاة في الدار المغصوبة، فقليل: لا يقتضى الفساد، والظاهر أنه يضاد وجوب أصله؛ لأن التحريم وهو إيقاع الصلاة في ذلك المكان كما صرح به الشافعي وأتباعه وجماعة من أهل العلم، فهو كالنهي عن الصوم في يوم العيد لا فرق بينهما، والحنفية يفرقون بين النهي عن الشيء لذاته وجزئه ولوصف مجاور، ويحكمون في بعض بالصحة، وفي بعض بالفساد في الأصل أو الوصف، ولهم في ذلك فروق وتدقيقات لا تقوم بمثلها الحجة.

الباب الثالث في العموم، وفيه مسائل

الأولى: في حده، وهو في اللغة شمول أمر لمتعدد، سواء كان الأمر لفظاً أو غيره، وفي الاصطلاح العام هو اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له بحسب وضع واحد دفعة، وهذا أحسن الحدود، كقوله: الرجال، ولا تدخل عليه النكرات كقولهم: رجل؛ لأنه يصلح لكل واحد من رجال الدنيا ولا يستغرقهم، ولا التثنية ولا الجمع؛ لأن لفظ رجلين ورجال يصلح لكل اثنين، ولا يفيد الاستغراق ولا ألفاظ العدد، كقولنا: خمسة؛ لأنه يصلح لكل خمسة ولا يستغرقه^(١).

الثانية: ذهب الجمهور إلى أن العموم من عوارض الألفاظ، فإذا قيل: هذا لفظ عام، صدق على حسب الحقيقة، وقال القاضي أبو بكر: إن العموم والخصوص يرجعان إلى

(١) انظر: المحصول (٣٥٣/١)، والمعتمد لأبي الحسين (١٨٩/١)، ونهاية السؤل (٢١٢/٢)، وإرشاد الفحول (٢٨٦/١)، التبصرة للشيرازي (١١٥)، وروضة الناظر (١٣٤/٢)، المسودة (ص ١٠٥)، شرح الكوكب المنير (١٣٢/٣)، مذكرة الشنقيطي (٢٠٤).

٣١٨ مختصر إرشاد الفحول

الكلام، واختلف الأولون في اتصاف المعاني بالعموم بعد اتفاقهم على أنه حقيقة فى الألفاظ، فقال بعضهم: إنها تتصف به حقيقة، كما تتصف به الألفاظ، وقال بعضهم: مجازاً، وقال بعضهم: لا حقيقة ولا مجازاً.

الثالثة: ذهب الجمهور إلى أن العموم له صيغة موضوعة له حقيقة، وهى أسماء الشرط، والاستفهام، والموصولات، والجموع المعروفة تعريف الجنس، والمضافة، واسم الجنس، والنكرة المنفية، والمفرد المحلى باللام، ولفظ كل وجميع ونحوها، وقد كان الصحابة يحتجون عند حدوث الحادثة بمثل الصيغ المذكورة على العموم، ومنه ما ثبت عنه ﷺ لما سئل عن الحمر الأهلية، فقال: «لم ينزل علىّ فى شأنها إلا هذه الآية الجامعة: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾...» [الزلزلة: ٧] إلى آخره^(١)، وما ثبت عن عمرو بن العاص لما أنكر عليه ترك الغسل من الجنابة والعدول إلى التيمم مع شدة البرد، فقال: سمعت الله يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، فقرر ذلك رسول الله ﷺ، وكم يعد العاد من مثل هذه المواد.

وما أوجب به عن ذلك بأنه إنما فهم بالقرائن جواب ساقط لا يلتفت إليه ولا يعول عليه. وقال محمد بن المنتاب من المالكية، ومحمد بن شجاع البلخى من الحنفية: إنه ليس للعموم صيغة تخصه، وما ذكره من الصيغ موضوع فى الخصوص، وهو أقل الجمع ما اثنان أو ثلاثة على خلاف فيه، ولا يقتضى العموم إلا بقرينة، ولا يخفأك أن قولهم موضوع فى الخصوص مجرد دعوى ليس عليها دليل، والحجة قائمة عليهم لغة وشرعاً وعرفاً، وكل من يفهم لغة العرب واستعمالات الشرع لا يخفى عليه هذا.

الرابعة: اختلفوا فى أقل الجمع، وليس النزاع فى لفظ الجمع المركب من الجيم والميم والعين كما ذكر ذلك الجوينى، والكيه الهراسى، وسليم الرازى، فإن موضوعها يقتضى ضم شىء إلى شىء، وذلك حاصل فى الاثنين والثلاثة، وما زاد على ذلك بلا خلاف، بل فى الضيغ الموضوعة للجمع، سواء كان للسلامة أو للتكسير، وذكر مثل هذا الأستاذ أبو منصور، والغزالي، وإذا عرفت هذا، ففى أقل الجمع مذاهب:

الأول: أن أقله اثنان، وهو المروى عن عمرو بن زيد بن ثابت، والأشعرى، وابن الماجشون، والقاضى أبى بكر بن العربى، ومالك، واختاره الباجى، وحكى عن أبى

(١) حديث صحيح، رواه البخارى، ومسلم، والنسائى، وابن ماجه، وأحمد، ومالك، كما فى الدر (٦/٦٥٠).

مختصر إرشاد الفحول ٣١٩

يوسف، وأهل الظاهر، وبعض المحدثين، والخليل، ونفطويه، وعن ثعلب أن التثنية جمع عند أهل اللغة، واختاره الغزالي.

الثاني: أن أقل الجمع ثلاثة، وبه قال جمهور النحاة، وهذا هو القول الحق الذي عليه أهل اللغة والشرع، وهو السابق إلى الفهم عند إطلاق الجمع، والسبق دليل الحقيقة، ولم يتمسك من خالفه بشيء يصلح للاستدلال.

الثالث: أن أقل الجمع واحد، ولم يأت من ذهب إلى أنه حقيقة بشيء يعتد به أصلاً، بل جاء باستعمالات وقعت في الكتاب العزيز، وفي كلام العرب على طريقة المجاز، وليس النزاع في جواز التجوز بلفظ الجمع عن الواحد أو الاثنين، بل النزاع في كون ذلك معناه حقيقة.

الرابع: الوقف، وفي ثبوته نظر، وليس هذا من مواطن الوقف.

الخامسة: الخطاب الوارد شفاهاً في عصر النبي ﷺ، نحو: «يا أيها الناس»، «يا أيها الناس آمنوا»، ويسمى خطاب المواجهة. قال الزركشي: لا خلاف في شموله لمن بعدهم من المعدومين حال صدوره، لكن هل هو باللفظ أو بدليل آخر من إجماع أو قياس؟ فذهب جماعة من الحنفية والحنابلة إلى أنه يشملهم باللفظ، وذهب الأكثرون إلى أنه لا يشملهم باللفظ، لما عرف بالضرورة من دين الإسلام أن كل حكم تعلق بأهل زمانه ﷺ فهو شامل لجميع الأمة إلى يوم القيامة. والخلاف في هذه قليل الفائدة، بل لا ينبغي أن يكون فيه خلاف عند التحقيق؛ لأنه لغة لا يتناول غير المخاطبين، وشرعاً الأحكام عامة، إلا حيث يرد التخصيص، كذا أفاده ابن دقيق العيد في شرح العنوان.

السادسة: نقل الغزالي، والآمدي، وابن الحاجب، الإجماع على منع العمل بالعام قبل البحث عن المخصص، واختلفوا في قدر البحث، فالأكثرون قالوا: إلى أن يغلب الظن بعدمه، وقال الباقلاني: إلى القطع به، وهو ضعيف، إذ القطع لا سبيل إليه، واشترطه يفضي إلى عدم العمل بكل عموم، وفي حكاية الإجماع نظر كما يظهر من كلام صاحب المحصول نقلاً عن الصيرفي، ولا شك أن الأصل عدم التخصيص، فيجوز التمسك بالدليل العام لمن كان من أهل الاجتهاد الممارسين لأدلة الكتاب والسنة العارفين بها، فإن عدم وجود المخصص لمن كان كذلك، يسوغ له التمسك بالعام، بل هو فرضه الذي تعبد به الله به، ولا ينافي ذلك تقدير وجود المخصص، فإن مجرد هذا

٣٢٠ مختصر إرشاد الفحول

التقدير لا يسقط قيام الحجة بالعام، ولا يعارض أصالة عدم الوجود ظهوره^(١).

الباب الرابع

فى الخاص والتخصيص والخصوص، وفيه مسائل^(٢)

الأولى: فى حدها، فقل: الخاص هو اللفظ الدال على مسمى واحد، أعم من أن يكون فرداً، أو نوعاً، أو صنفاً، وقيل: ما دل على كثرة مخصوصة، ولا يخلو ذلك عن إيراد عليهما. والخصوص هو كون اللفظ متناولاً لبعض ما يصلح له لا لجميعه، وقيل: هو كون اللفظ متناولاً للواحد المعين الذى لا يصلح إلا له. ويفرق بين الخاص والخصوص بأن الخاص هو ما يراد به بعض ما ينطوى عليه لفظه بالوضع، والخصوص ما اختص بالوضع لا بالإرادة.

وأما المخصص فيطلق على معان مختلفة، فيوصف المتكلم بكونه مخصصاً للعام، بمعنى أنه أراد به بعض ما تناوله، ويوصف الناصب لدلالة التخصيص بأنه مخصص، ويوصف الدليل بأنه مخصص، كما يقال: السنة تخصص الكتاب، ويوصف المعتقد لذلك بأنه مخصص. والمراد فى هذا الباب ذكر حد التخصيص دون الخاص والخصوص، والأولى فى حده أن يقال: هو إخراج بعض ما كان داخلاً تحت العموم على تقدير عدم المخصص.

الثانية: فى الفرق بين النسخ والتخصيص، وهو من وجوه، منها أن التخصيص لا يكون إلا لبعض الأفراد، والنسخ يكون لكلها. ومنها أن النسخ يتطرق إلى كل حكم، سواء كان ثابتاً فى حق شخص واحد أو أشخاص كثيرة، والتخصيص لا يتطرق إلى الأولى. ومنها أنه يجوز تأخير النسخ عن قتل العمل بالمنسوخ، ولا يجوز تأخير التخصيص عن وقت العمل بالمخصوص. ومنها أنه يجوز نسخ شريعة بشريعة أخرى، ولا يجوز للتخصيص. ومنها أن النسخ رفع الحكم بعد ثبوته، بخلاف التخصيص فإنه بيان المراد باللفظ العام.

(١) انظر: المحصول للرازى (٤٠٥/١)، فواتح الرحموت (٢٦٧/١، ٢٦٨)، أصول الفقه للشيخ أبى النور زهير (٢٦٥/٢، ٢٦٩).

(٢) انظر: المحصول (٣٩٦/١)، ونهاية السؤل (٢٧٤/٢)، والمعتمد (٣٣٤/١)، وإحكام الآمدى (٤٠٧/٣، ٤٠٩)، العضد على ابن الحاجب (١٣٠/٢)، والحاصل (٣٧٠)، التحصيل (٣٠/١)، المسودة (ص ١١٦)، والإبهاج (١٣٥/٢)، وشرح الكوكب المنير (١٦٣/٣)، شرح المحلى على جمع الجوامع (٦٢٥/٢).

الثالثة: اختلفوا في القدر الذي لا بد من بقاءه بعد التخصيص على مذاهب:

الأول: أنه لا بد من بقاء جمع يقرب من مدلول العام، وإليه ذهب أكثر أصحاب الشافعي، وإليه مال الجويني، واختاره الغزالي، والرازي.

والثاني: أن العام إن كان مفردًا كمن والألف واللام، نحو: اقتل من في الدار، واقطع السارق، جاز التخصيص إلى أقل المراتب، وهو واحد؛ لأن الاسم يصلح لهما جميعاً، وإن كان بلفظ الجمع كالمسلمين جاز إلى أقل الجمع، وذلك إما ثلاثة أو اثنين على الخلاف، قاله القفال الشافعي، وابن الصباغ.

الثالث: التفصيل بين أن يكون التخصيص بالاستثناء والبدل، فيجوز إلى الواحد وإلا فلا، قال الزركشي: حكاه ابن المطهر.

الرابع: أنه يجوز إلى أقل الجمع مطلقاً، حكاه ابن برهان وغيره.

الخامس: أنه يجوز إلى الواحد في جميع ألفاظ العموم، وهو الذي اختاره الشافعي، ونسب إلى الجمهور.

الرابعة: اختلفوا في المخصص على قولين حكاهما القاضي في الملخص، وابن برهان في الوجيز: أحدهما: أنه إرادة المتكلم، والدليل كاشف عن تلك الإرادة. وثانيهما: أنه الدليل الذي وقع به التخصيص، واختار الأول ابن برهان، وفخر الدين الرازي في محصولة، والحق أن المخصص حقيقة هو المتكلم، لكن لما كان المتكلم يخصص بالإرادة، أسند التخصيص إلى إرادته، فجعلت الإرادة مخصصة، ثم جعل ما دل على إرادته، وهو الدليل اللفظي أو غيره مخصصاً في الاصطلاح.

الخامسة: التخصيص بالكتاب العزيز وبالسنة المطهرة والتخصيص لهما، ذهب الجمهور إلى جواز تخصيص الكتاب بالكتاب، وذهب بعض الظاهرية إلى عدم جوازه، وجعل ابن الحاجب الخلاف في هذه المسألة لأبي حنيفة، وأبي بكر الباقلاني، وحكى عنهم أن الخاص إن كان متأخراً، وإلا فالعام ناسخ، وهذه مسألة لا اختصاص لها بتخصيص الكتاب، كذلك يجوز تخصيص السنة المتواترة بالكتاب عند جمهور أهل العلم، وعن أحمد روايتان، وعن بعض أصحاب الشافعي المنع، وهو قول بعض المتكلمين. قال مكحول، ويحيى بن كثير: السنة تقضى على الكتاب، والكتاب لا يقضى على السنة، ولا وجه للمنع، ويجوز تخصيص عموم الكتاب بالسنة المتواترة إجماعاً، كذا قال الأستاذ أبو منصور.

وقال الآمدى: لا أعرف فيه خلافاً. وألحق أبو منصور بالتواتر الأخبار التى يقطع بصحتها، ويجوز تخصيص السنة المتواترة بالسنة المتواترة، وهو مجمع عليه، وعن داود أنهما يتعارضان، ولا يبنى أحدهما على الآخر، ولا وجه لذلك. واختلفوا فى جواز تخصيص الكتاب العزيز بخبر الواحد، فذهب الجمهور إلى جوازه مطلقاً، وذهب بعض الحنابلة إلى المنع مطلقاً، وحكى ذلك عن طائفة من المتكلمين، والفقهاء، وطائفة من أهل العراق. وذهب عيسى بن أبان إلى الجواز إذا كان العام قد خص من قبل بدليل قطعى متصلاً كان أو منفصلاً، وذهب القاضي أبو بكر إلى الوقف.

والحق ما ذهب إليه الجمهور، ويدل عليه إجماع الصحابة، فإنهم خصوا قوله سبحانه: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ [النساء: ١١] بقوله ﷺ: «إنا معشر الأنبياء لا نورث»، وخصوا التوارث بالمسلمين عملاً بقوله: «لا يرث المسلم الكافر»^(١)، وأيضاً يدل على جوازه دلالة بينة واضحة ما وقع من أوامر الله عز وجل باتباع نبيه ﷺ من غير تقييد، فإذا جاء عنه الدليل، كان اتباعه واجباً، وإذا عارضه عموم قرآنى كان سلوك طريقة الجمع ببناء العام على الخاص متحتماً ودلالة العام على أفراد ظنية وليست قطعية، فلا وجه لمنع تخصيصه بالأخبار الصحيحة الأحادية، وهكذا يجوز التخصيص لعموم الكتاب وعموم التواتر من السنة بما ثبت من فعله ﷺ إذا لم يدل دليل على اختصاصه به كما يجوز بالقول، وهكذا يجوز التخصيص بتقريره ﷺ، وقد تقدم البحث فى فعله ﷺ، وفى تقريره فى مقصد السنة بما يغنى عن الإعادة^(٢).

السادسة: فى التخصيص بالقياس، وذهب الجمهور إلى جوازه، وهو قول أبى حنيفة، والشافعى، ومالك، وأحمد، وأبى الحسين البصرى، والأشعرى، وذهب طائفة من المتكلمين، وفى رواية الإمام أحمد، والأشعرى، إلى المنع مطلقاً^(٣).

السابعة: فى التخصيص بالإجماع. قال الآمدى: لا أعرف فيه خلافاً، وكذا حكى

(١) حديث صحيح، رواه البخارى (٥١/١٢) (٦٧٦٤)، ومسلم (٧٤/١١) (١٦١٤)، وأبو داود (١٢٥/٣) (٢٩٢٠٩)، والترمذى (٣٦٩/٤) (٢١٠٧)، والنسائى فى الكبرى (٦٣٧٠)، وابن ماجه (٩١١/٢) (٩١٢).

(٢) انظر: المحصول للرازى (٤٣٦/١)، الإحكام للآمدى (٤٧٢/٢)، والمستصفى للغزالي (١١٤/٢)، نهاية السؤل للإسنوى (٤٥٩/٢)، فواتح الرحموت (٣٤٩/١)، (٣٥٢)، اللمع لأبى إسحاق الشيرازى (ص ١٨).

(٣) انظر: المستصفى للغزالي (١٣٤/٢)، وإحكام الآمدى (٤٩١/٢) (٤٩٢).

مختصر إرشاد الفحول..... ٣٢٣

الإجماع عليه الأستاذ أبو منصور. وقال: ومعناه أن يعلم بالإجماع أن المراد باللفظ العام بعض ما يقتضيه ظاهره، وفي الحقيقة يكون التخصيص بدليل الإجماع لا بنفسه، وهو الحق، وجعل الصيرفي من أمثله قوله تعالى: ﴿إِذَا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله﴾ [الجمعة: ٩]، قال: وأجمعوا على أنه لا جمعة على عبد ولا امرأة^(١).

الثامنة: في التخصيص بمذهب الصحابي، ذهب الجمهور إلى أنه لا يخص بمذهب الصحابي، وذهب الحنفية والحنابلة إلى أنه يجوز التخصيص به على خلاف بينهم في ذلك، فبعضهم يخص به إن كان هو الراوي للحديث، والحق عدم التخصيص بمذهبه، وإن كانوا جماعة ما لم يجمعوا على ذلك، فيكون من التخصيص بالإجماع؛ لأن الحجة إنما هي في العموم، ومذهب الصحابي ليس بحجة، فلا يجوز التخصيص به^(٢).

الباب الخامس

في المطلق والمقيد^(٣)، وفيه بحثان

البحث الأول

في حدهما، أما المطلق، فقليل: في حده ما دل على شائع في جنسه، ومعنى هذا أن يكون حصة محتملة لخصص كثيرة مما يدرج تحت أمر، وقيل غير ذلك، ولا يخلو عن إيراد عليه. أما المقيد، فهو ما يقابل المطلق، ويقال: هو ما دل على شائع في جنسه فتدخل فيه المعارف والعمومات كلها، وقيل: هو ما دل على الماهية بقيد من قيودها، أو كان له دلالة على شيء من القيود.

البحث الثاني

إن الخطاب إذا ورد مطلقاً لا مقيداً حمل على إطلاقه، وإن ورد مقيداً حمل على تقييده، وإن ورد مطلقاً في موضع مقيداً في موضع آخر، فذلك على أقسام:
الأول: أن يختلفا في السبب والحكم، فلا يحمل أحدهما على الآخر بالاتفاق.

(١) انظر: الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (٢/٤٧٧، ٤٧٨)، اللمع للشيرازي (ص ٢٠)، والمحصول للرازي (١/٤٣٧).

(٢) انظر: المحصول للرازي (١/٤٤٩، ٤٥١)، وإحكام الآمدي (٢/٤٨٥، ٤٨٦)، ونهاية السؤل للإسنوي (٢/٤٨٠، ٤٨٤)، مختصر ابن اللحام (ص ١٢٣)، فواتح الرحموت (١/٣٥٥).

(٣) انظر: إحكام الأحكام (٣/٣٢٢)، شرح تنقيح الأصول (ص ٢٦٦)، مختصر ابن اللحام (ص ١٢٥)، شرح جمع الجوامع للمحلى مع البناني (٢/٤٧)، إرشاد الفحول (٢/٤).

٣٢٤ مختصر إرشاد الفحول

الثاني: أن يتفقا في السبب والحكم، فيحمل أحدهما على الآخر اتفاقاً، وبه قال أبو حنيفة، ورجح ابن الحاجب وغيره أن هذا الحمل هو بيان للمطلق، أى دال على أن المراد بالمطلق هو المقيد، وقيل: إنه يكون نسخاً، والأول أولى، وظاهر إطلاقهم عدم الفرق بين أن يكون المطلق متقدماً أو متأخراً، أو جهل السابق، فإنه يتعين الحمل.

الثالث: أن يختلفا في السبب دون الحكم، كإطلاق الرقة في كفارة الظهار وتقييدها بالإيمان في كفارة القتل، فالحكم واحد، وهو موجب الاعتاق مع كونهما سببين مختلفين، وهذا القسم هو موضع الخلاف، فذهب كافة الحنفية إلى عدم جواز التقييد، وحكى عن أكثر المالكية، وذهب جمهور الشافعية إلى التقييد، وذهب جماعة منهم إلى أنه يجوز تقييد المطلق بالقياس الصحيح على ذلك المقيد، ولا يخفى أن اتحاد الحكم بين المطلق والمقيد يقتضى حصول التناسب بينهما بجهة الحمل، فالحق ما ذهب إليه القائلون بالحمل^(١).

الرابع: أن يختلفا في الحكم، ولا خلاف في أنه لا يحمل أحدهما على الآخر بوجه من الوجوه، سواء كانا مثبتين أو منفيين أو مختلفين، اتحد سببهما أو اختلف، وقد حكى الإجماع عليه جماعة من المحققين آخرهم ابن الحاجب.

الباب السادس

في المجلد والمبين^(٢)، وفيه فصول

الفصل الأول في أحدهما

فالمحمل في اللغة المبهم، من أجمل الأمر إذا أيهم. وفي الاصطلاح له حدود ولا تخلو عن إيراد عليها، والأولى أن يقال: هو ما دل دلالة لا يتعين. المراد بها إلا بمعنى، سواء كان عدم التعيين بوضع اللغة أو يعرف الشرع أو بالاستعمال. وأما المبين، فهو في اللغة المظهر من بان إذا ظهر، وفي الاصطلاح هو الدال على المراد بخطاب لا يستقل بنفسه

(١) انظر: المحصول (١/٤٥٧، ٤٦٠)، المعتمد (١/٢٨٨، ٢٩١)، وشرح التلويح على التوضيح

(١/٦٣، ٦٦)، التمهيد للإسنوى (ص٤١٨، ٤٢٣)، كشف الأسرار للبخارى (٢/٢٩٠).

(٢) المحمل لغة: المجموع، يقال: أجملت الشيء جمعته. واصطلاحاً: ما لم تتضح دلالاته. وانظر:

المصباح المنير (١/١٣٤)، والمعتبر (ص٣٣٨)، ومختصر ابن الحاجب (٢/١٥٨)، وتيسير الوصول

(٢/٩٨١)، إحكام الأملى (٢/١١، ١٤)، المستصفى (١/٣٦٠، ٣٦٣)، اللمع للشيرازي

(ص٢٧، ٢٨)، مختصر ابن اللحام (ص١٢٦، ١٢٧)، المحصول للرازي (١/٤٦٣)، إرشاد

الفحول (٢/٢١).

مختصر إرشاد الفحول ٣٢٥

فى الدلالة على المراد، ويطلق ويراد به الدليل، ويطلق على الفعل المبين، لأجل ذلك
اختلفوا فى تفسيره.

الفصل الثانى

الإجمال واقع فى الكتاب والسنة. قال الصيرفى: ولا أعلم أحداً أبى هذا غير داود
الظاهرى. قال الماوردى والرويانى: يجوز التعبد بالخطاب المجل قبل البيان؛ لأنه ﷺ
بعث معاذاً إلى اليمن^(١)، وتعبدهم بالتزام الزكاة قبل بيانها. قال أبو إسحاق الشيرازى:
حكمه التوقف فيه إلى أن يفسر، ولا يصح الاحتجاج بظاهره فى شىء يقع فيه النزاع.

الفصل الثالث

الإجمال يكون فى حال الأفراد أو التركيب، والأول إما أن يكون بتصريفه نحو قال
من القول والقيولة، والمختار للفاعل والمفعول، وإما أن يكون بأصل وضعه، فإما أن
تكون معانيه متضادة كالقرء للظهر والخيض، والناهل للعطشان والريان، أو متشابهة غير
متضادة، فإما أن يتناول معانى كثيرة بحسب خصوصياتها فهو المشترك، وإما بحسب
معنى تشترك فيه فهو المتواطىء، والإجمال يكون فى الأفعال كعسعس بمعنى أقبل،
وأدبر، ويكون فى الحروف كتردد الواو بين العطف والابتداء.

وأما فى حال التركيب، فكما فى قوله تعالى: ﴿أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح﴾
[البقرة: ٢٣٧]؛ لتردده بين الزوج والوالى، ويكون أيضاً فى مرجع الضمير، وفى
الصفة، وفى المحازات المتساوية، مع مانع يمنع من حملة على الحقيقة، وفى فعله ﷺ إذا
فعل فعلاً يحتمل وجهين احتمالاً واحداً، وفى ما ورد من الأوامر بصيغة الخبر، كقوله
تعالى: ﴿والجروح قصاص﴾ [المائدة: ٤٥]، وقوله: ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن﴾
[البقرة: ٢٢٨]، فذهب الجمهور إلى أنها تفيد الإيجاب، وقال آخرون: يتوقف فيها
حتى يرد دليل يبين المراد بها^(٢).

الفصل الرابع

فى مراتب البيان للأحكام، وهى خمسة، بعضها أوضح من بعض:

-
- (١) حديث صحيح، رواه أبو داود (١٠١/٢)، والترمذى (٢٠/٣)، والنسائى (٢٦/٥)، وابن ماجه (٥٧٦/١)، والحاكم فى المستدرک (٣٩٨/١)، والدارقطنى (٩٤/٢)، وفى العلل (٨١/٦)،
وقال ابن عبد البر فى التمهيد: إسناده متصل صحيح ثابت.
- (٢) انظر: المعتمد لأبى الحسين البصرى (٣٠٧/١)، وفواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت (٣٣/٢).

٣٢٦ مختصر إرشاد الفحول

الأول: بيان التأكيد، وهو النص الجلى الذى لا يتطرق إليه تأويل، كقوله تعالى فى صوم التمتع: ﴿فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة﴾ [البقرة: ١٩٦]، وسماه بعضهم بيان التقرير.

الثانى: النص الذى ينفرد بإدراكه العلماء كالواو وإلى فى آية الوضوء، فإن هذين الحرفين متضادين لمعان معلومة عند أهل اللسان.

الثالث: نصوص السنة الواردة بيانا لمشكل فى القرآن، كالنص على ما يخرج عند الحصاد مع قوله تعالى: ﴿وآتوا حقه يوم حصاده﴾ [الأنعام: ١٤١]، ولم يذكر فى القرآن مقدار هذا الحق.

الرابع: نصوص السنة المبتدأة مما ليس فى القرآن نص عليها بالإجمال ولا بالتبيين، ودليل كون هذا القسم من بيان الكتاب قوله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [الحشر: ٧].

الخامس: بيان الإشارة، وهو القياس المستنبط من الكتاب والسنة، مثل الألفاظ التى استنبطت منها المعانى، وقيس عليها غيرها، كإلحاق المطعومات فى باب الربويات بالأربعة المنصوص عليها؛ لأن حقيقة القياس بيان المراد بالنص، وقد أمر الله سبحانه وتعالى أهل التكليف بالاعتبار والاستنباط والاجتهاد، وقد ذكر المراتب الخمس للإمام الشافعى فى أول الرسالة، واعترض عليه قوم بإهماله قسمين، وهما الإجماع وقول المجتهد إذا انقض عصره وانتشر من غير نكير. قال الزركشى فى البحر: إنما أهملهما؛ لأن كل واحد منهما إنما يتوصل إليه بأحد الأقسام الخمسة.

الباب السابع

فى الظاهر والمؤول^(١)، وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول فى أحدهما

فالظاهر فى اللغة هو الواضح، ولفظه يغنى عن تفسيره، وقال الغزالى: هو المتردد بين أمرين، وهو فى أحدهما أظهر، وكان الشافعى يسمي الظاهر نصا، والتأويل من آل

(١) انظر: القاموس المحيط (٨٢/٢، ٣٣١/٣)، المستصفى (٣٨٤/١، ٣٨٥)، إحكام الأمدى (٧٣/٣)، لسان العرب (٣٢/١١)، المقاييس (١٥٩/١)، فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت (٢٢/٢).

يؤول إذا رجع، واصطلاحاً صرف الكلام عن ظاهره إلى معنى يحتمله، وهذا يتناول التأويل الصحيح والفساد، فإن قيدت الحد بلفظ بدليل يصيره راجحاً، كان تعريفاً للتأويل الصحيح، فإن الفساد يكون بلا دليل أو مع دليل مرجوح أو مساو. والظاهر دليل شرعى يجب اتباعه والعمل به بدليل إجماع الصحابة على العمل بظواهر الألفاظ.

الفصل الثانى

فيما يدخله التأويل وهو قسمان

أحدهما علم الفروع، ولا خلاف فى ذلك. الثانى الأصول، كالعقائد وأصول الديانات وصفات البارى عز وجل. وقد اختلفوا فى هذا على مذاهب:

الأول: أنه لا مدخل للتأويل فيهما، بل يجرى على ظاهرها، ولا يؤول شىء منها، وهذا قول المشبهة.

الثانى: أن لها تأويلاً، ولكننا نمسك عنه مع تنزيه اعتقادنا عن التشبيه والتعطيل، قال ابن برهان: وهذا مذهب السلف. قلت: وهذا هو الطريقة الواضحة والمنهج المصحوب بالسلامة عن الوقوع فى مهاوى التأويل لما يعلم تأويله إلا الله، وكفى بالسلف الصالح قدوة لمن أراد الاقتداء، وأسوة لمن أحب التأسى على تقدير عدم ورود الدليل القاضى بالمنع من ذلك، فكيف وهو قائم موجود فى الكتاب والسنة.

الثالث: أنها مؤلة.

قال ابن برهان: والأول من هذه المذاهب باطل، والآخران منقولان عن الصحابة، ونقل هذا المذهب الثالث عن على، وابن مسعود، وابن عباس، وأم سلمة^(١).

الفصل الثالث

فى شروط التأويل

الأول: أن يكون موافقاً لوضع اللغة أو عرف الاستعمال أو عادة صاحب الشرع، وكل تأويل خرج عن هذا فليس بصحيح.

الثانى: أن يقوم الدليل على أن المراد بذلك اللفظ هو المعنى الذى حمل عليه إذا كان

(١) قال الذهبى فى سير أعلام النبلاء: ذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل، وإجراء الظواهر على مواردّها، وتفويض معانيها إلى الرب تعالى، والذى نرتضيه رأياً وندين لله به عقداً اتباع سلف الأمة. وانظر: إرشاد الفحول للشوكاني (٤٨/٢).

لا يستعمل كثيراً فيه.

الثالث: إذا كان التأويل بالقياس، فلا بد أن يكون جلياً لا خفياً.

الباب الثامن

في المنطوق والمفهوم^(١)

وفيه أربع مسائل:

الأولى في أحدهما

فالمنطوق ما دل عليه اللفظ في محل النطق، أى يكون حكماً للمذكور وحالاً من أحواله. والمفهوم ما دل عليه اللفظ لا في محل النطق، أى يكون حكماً لغير المذكور وحالاً من أحواله. والحاصل أن الألفاظ قوالب للمعاني المستفادة منها، فتارة يستفاد منها من جهة النطق تصريحاً، وتارة من جهة تلويحاً، فالأول المنطوق والثانى المفهوم، والمنطوق قسمان: الأول: ما لا يحتمل التأويل، وهو النص. والثانى ما يحتمله، وهو الظاهر، والأول إنما قسمان: صريح إن دل عليه اللفظ بالمطابقة أو التضمن، وغير صريح إن دل عليه بالالتزام. وغير الصريح ينقسم إلى دلالة اقتضاء وإيماء وإشارة، فدلالة الاقتضاء هى إذا توقف الصدق أو الصحة العقلية أو الشرعية عليه مع كون ذلك مقصود المتكلم، ودلالة الإيماء أن يقترب اللفظ بحكم لو لم يكن للتعامل لكان بعيداً، وسيأتى بيان هذا القياس. ودلالة الإشارة حيث لا يكون مقصوداً للمتكلم.

والمفهوم ينقسم إلى مفهوم موافقة ومفهوم مخالفة، فمفهوم الموافقة حيث يكون المسكوت عنه موافقاً للملفوظ به، فإن كان أولى بالحكم من المنطوق به، فيسمى فحوى الخطاب، وإن كان مساوياً له، فيسمى لحن الخطاب.

الثانية مفهوم المخالفة

وهو حيث يكون المسكوت عنه مخالفاً للمذكور فى الحكم إثباتاً ونفيًا، فيثبت للمسكوت عنه نقيض حكم المنطوق به، ويسمى دليل الخطاب، وجميع مفاهيم المخالفة حجة عند الجمهور إلا مفهوم اللقب، وأنكر أبو حنيفة الجميع، والصحيح أنه حجة من حيث اللغة، واختلفوا فى تحقيق مقتضاه أنه هل يدل على نفي الحكم عما عدا المنطوق

(١) انظر: إحكام الآمدى (٩٣/٣، ٩٤)، واللمع للشيرازى (ص ٢٤، ٢٥)، ونهاية السؤل للإسنوى (٢٠٣/٢، ٢٠٥).

مختصر إرشاد الفحول ٣٢٩

به مطلقاً، سواء كان من جنس المثبت أم لم يكن، أو تختص دلالة بما إذا كان من جنسه؟ قال الجويني: المفهوم المذكور يرتقى إلى أن يكون دليلاً قطعياً، وقيل: لا يرتقى إلى ذلك، وحكم المفهوم حكم العمل بالعام قبل البحث عن المخصص.

الثالثة

للقول بمفهوم المخالفة شروط:

الأول: أن لا يعارضه ما هو أرجح منه من منطوق أو مفهوم موافقة، وإن عارضه قياس جلى قدم القياس.

الثاني: أن لا يكون المذكور قصد به الامتنان، كقوله تعالى: ﴿لَتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ [النحل: ١٤]، فإنه لا يدل على منع أكل ما ليس بطرى.

الثالث: أن لا يكون المنطوق خرج جواباً عن سؤال متعلق بحكم خاص، ولا حادثة خاصة بالمذكور.

الرابع: أن لا يكون المذكور قصد به التفخيم وتأكيد الحال، كقوله ﷺ: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد»^(١)، فإن التقييد بالإيمان لا مفهوم له، وإنما ذكر لتفخيم الأمر.

الخامس: أن يذكر مستقلاً، فلو ذكر على وجه التبعية بشيء آخر، فلا مفهوم له، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، فإن قوله: ﴿فِي الْمَسَاجِدِ﴾ لا مفهوم له؛ لأن المعتكف ممنوع من المباشرة مطلقاً.

السادس: أن لا يظهر من السياق قصد التعميم، فإن ظهر فلا مفهوم له، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، للعلم بأن الله سبحانه قادر على المعدوم والممكن وليس بشيء، فإن المقصود بقوله: ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ التعميم.

السابع: أن لا يعود على أصله الذى هو المنطوق بالإبطال، أما لو كان كذلك، فلا يعمل به.

الثامن: أن لا يكون قد خرج مخرج الأغلب، كقوله تعالى: ﴿وَرِبَائِكُمْ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾ [النساء: ٢٣]، فإن الغالب كون الرئائى فى الحجور، فقيده به لذلك، لا

(١) حديث صحيح، رواه مسلم (١٦٤/١٠) (١٤٩٠) من حديث عائشة وحفصة.

٣٣٠ مختصر إرشاد الفحول

لأن حكم اللاتي لسن في الحجور بخلافه، ونحو ذلك كثير في الكتاب والسنة.

الرابعة في أنواع مفهوم المخالفة

الأول: مفهوم الصفة، وهي تعليق الحكم على الذات بأحد الأوصاف، نحو: «فى سائمة الغنم زكاة»، والمراد بالصفة عند الأصوليين تقييد لفظ مشترك المعنى بلفظ آخر يختص ببعض معانيه، ليس بشرط ولا غاية، ولا يريدون به النعت فقط، وهكذا عند أهل البيان، وإنما يختص الصفة بالنعت أهل النحو فقط، ومفهوم الصفة أخذ الجمهور، وهو الحق لما هو معلوم من لسان العرب أن الشيء إذا كان له وصفان فوصف بأحدهما دون الآخر، كان المراد به ما فيه تلك الصفة دون الآخر. وقال أبو حنيفة وأصحابه وبعض الشافعية والمالكية: إنه لا يؤخذ به ولا يعمل عليه، ووافقهم من أئمة اللغة الأخفش، وابن فارس، وابن جنى.

الثاني: مفهوم العلة، وهو تعليق الحكم بالعلة، نحو: حرمت الخمر لإسكارها، والفرق بين هذا والنوع الأول، أن الصفة قد تكون علة وقد لا تكون علة بل متممة، والخلاف فيه وفى مفهوم الصفة واحد، قاله الباقلاني.

الثالث: مفهوم الشرط، والشرط ما دخل عليه أحد الحرفين: إن أو إذا، أو ما يقوم مقامهما مما يدل على سببية الأول ومسببية الثاني، وهذا هو الشرط اللغوي، وهو المراد هنا لا الشرعى ولا العقلى، وبه قال أكثر الحنفية ومعظم أهل العراق.

الرابع: مفهوم العدد، وهو تعليق الحكم بعدد مخصوص، فإنه يدل على انتفاء الحكم فيما عدا ذلك العدد، زائداً كان أو ناقصاً، وقد ذهب إليه الشافعى، وأحمد، وبه قال مالك، وداود الظاهري، وصاحب الهداية من الحنفية، ومنع من العمل به المانعون بمفهوم الصفة، والحق ما ذهب إليه الأولون، والعمل به معلوم من لغة العرب والشرع.

الخامس: مفهوم الغاية، وهو مد الحكم إلى أو حتى، وغاية الشيء آخره، وإلى العمل به ذهب الجمهور، والباقلاني، والغزالي، وحكى ابن برهان وغيره الاتفاق عليه، ولم يخالف فى ذلك إلا طائفة من الحنفية والآمدى، ولم يتمسكوا بشيء يصلح للتمسك قط، بل صمموا على منعه طرداً لباب المنع من العمل بالمفاهيم، وليس ذلك بشيء.

السادس: مفهوم اللقب، وهو تعليق الحكم باسم العلم، نحو: قام زيد، واسم النوع

مختصر إرشاد الفحول..... ٣٣١

نحو: فى الغنم زكاة، ولم يعمل به أحد إلا أبو بكر الدقاق. قال ابن فورك: وهو الأصح.

السابع: مفهوم الحصر، وهو أنواع أقواها ما وإلا، نحو: ما قام إلا زيد، وبكونه من قبيل المنطوق، جزم أبو إسحاق الشيرازى فى الملخص، ورجحه القرافى فى القواعد، وذهب الجمهور إلى أنه من قبيل المفهوم، وهو الراجح، والعمل به من لغة العرب، ولم يأت من لم يعمل به بحجة مقبولة.

الثامن: مفهوم الحال، أى تقييد الخطاب بالحال، وهو من مفاهيم الصفة؛ لأن المراد الصفة المعنوية لا النعت.

التاسع: مفهوم الزمان، كقوله: ﴿الحج أشهر معلومات﴾ [البقرة: ١٩٧]، وهو حجة عند الشافعى، وهو فى التحقيق داخل فى مفهوم الصفة باعتبار متعلق الظرف المقدر، كما تقرر فى علم العربية.

العاشر: مفهوم المكان، نحو: جلست أمام زيد، وهو حجة عند الشافعى، وهو أيضاً راجع إلى مفهوم الصفة.

الباب التاسع

فى النسخ^(١)، وفيه مسائل الأولى فى حده^(٢)

وهو فى اللغة الإبطال والإزالة، ويطلق ويراد به النقل والتحويل، والأكثر على أنه حقيقة فى الإزالة، مجاز فى النقل. وقال الشاشى: إنه حقيقة فى النقل. وقال الباقلانى والغزالى وغيرهما: إنه حقيقة فىهما مشترك بينهما لفظاً لاستعماله فىهما. وفى

(١) انظر: العضد على ابن الحاجب (١٨٦/٢)، نهاية السؤل (١٦٥/٢)، تيسير الوصول (١٠٣٨/٢)، الإبهاج لابن السبكي (٢٤٨/٢)، والعد على العضد (١٨٦/٢)، كشف الأسرار (١٧٧/٣)، الوصول إلى الأصول (١٣/٢)، المستصفى (١٠٧/١)، نهاية السؤل للإسنوى (٥٤٨/٢)، مختصر ابن اللحام (ص ١٣٦)، المعتمد للبصرى (٣٦٤/١، ٣٦٥)، إحكام الآمدى (١٤٦/٣، ١٥٠)، المحصول (٥٢٥/١، ٥٢٦).

(٢) قال صاحب المقاييس: أصله واحد، إلا أنه مختلف فى قياسه رفع شىء وإببات غيره مكانه، وقيل: قياسه تحويل شىء إلى شىء، ومنه نسخ الكتاب، ومنه تناسخ الأزمنة والقرون. معجم المقاييس لابن فارس (٤٢٤/٥، ٤٢٥). معناه.

٣٣٢ مختصر إرشاد الفحول

الاصطلاح له حدود لا تخلو عن إيراد عليها، والأولى أن يقال: هو رفع حكم شرعى بمثله مع تراخيه عنه.

الثانية

النسخ جائز عقلاً، واقع سمعاً بلا خلاف فى ذلك بين المسلمين من غير فرق بين كونه فى الكتاب أو السنة، وقد حكى جماعة من أهل العلم اتفاق أهل الشرائع عليه، فلم يبق فى المقام ما يقتضى تطويل المرام إلا ما يروى عن أبى مسلم الأصفهاني، قال: إنه جائز غير واقع، وإذا صح هذا عنه، فهو دليل على أنه جاهل لهذه الشريعة المحمدية جهلاً فظيماً.

الثالثة

وللنسخ شروط:

الأول: أن يكون المنسوخ شرعياً لا عقلياً.

الثاني: أن يكون الناسخ منفصلاً عن المنسوخ متأخراً عنه، فإن المقترن كالشرط والصفة والاستثناء، لا يسمى نسخاً، بل تخصيصاً.

الثالث: أن يكون النسخ بشرع، فلا يكون ارتفاع الحكم بالموت نسخاً، بل سقوط تكليف.

الرابع: أن لا يكون المنسوخ مقيداً بوقت، وإلا فلا يكون انقضاء ذلك الوقت نسخاً له.

الخامس: أن يكون الناسخ مثل المنسوخ فى القوة أو أقوى منه.

السادس: أن يكون المقتضى للمنسوخ غير المقتضى للناسخ حتى لا يلزم البداء.

السابع: أن يكون مما يجوز نسخه، فلا يدخل النسخ أصل التوحيد؛ لأن الله سبحانه بأسمائه وصفاته لم يزل ولا يزال، ومثل ذلك ما علم بالنص أنه يتأبد ولا يتأقت.

الرابعة

أنه يجوز النسخ بعد اعتقاد المنسوخ والعمل به بلا خلاف، سواء عمل به كل الناس، كاستقبال بيت المقدس، أو بعضهم كفرض الصدقة عند مناجاة الرسول ﷺ.

الخامسة

أنه لا يشترط في النسخ أن يخلفه بدل، وإليه ذهب الجمهور، وهو الحق الذي لا ستره به، فإنه قد وقع النسخ في هذه الشريعة المطهرة لأمر معروف لا إلى بدل، ومن ذلك نسخ تقديم الصدقة بين يدي مناجاة الرسول، ونسخ ادخار لحوم الأضاحي، ونسخ تحريم المباشرة بقوله سبحانه: ﴿فَالآن بَاشِرُوهُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]، ونسخ قيام الليل في حقه ﷺ.

السادسة

لا خلاف في جواز نسخ القرآن بالقرآن، ونسخ السنة المتواترة بالسنة المتواترة، وجواز نسخ الأحاد بالمتواتر، وأما نسخ القرآن أو المتواتر من السنة بالآحاد، فقد وقع اختلاف في ذلك في الجواز والوقوع، أما الجواز عقلاً، فقال به الأكثرون، وأما الوقوع، فذهب الجمهور كما حكاه ابن برهان وابن الحاجب وغيرهما إلى أنه غير واقع، وذهب جماعة من أهل الظاهر إلى وقوعه، وهي رواية عن أحمد، وهو الحق، ومما يرشدك إلى جواز النسخ بما صح من الآحاد لما هو أقوى متناً أو دلالة منها أن الناسخ في الحقيقة إنما جاء رافعاً لاستمرار حكم المنسوخ ودوامه، وذلك ظني وإن كان دليلاً قطعياً، فالمنسوخ إنما هو هذا الظني لا ذلك القطعي، فتأمل هذا.

السابعة

يجوز نسخ القرآن بالسنة المتواترة عند الجمهور، وهو مذهب أبي حنيفة وعامة المتكلمين، وذهب الشافعي في عامة كتبه كما قال ابن السمعاني، إلى أنه لا يجوز نسخ القرآن بالسنة بحال، وإن كانت متواترة، وبه جزم الصيرفي والخفاف، وقد استتكر جماعة من العلماء ما ذهب إليه الشافعي من المنع، حتى قال الكيا الهراسي: هفوات الكبار على أقدارهم، ومن عد خطؤه عظم قدره. قال: وكان عبد الجبار كثيراً ما ينظر مذهب الشافعي في الأصول والفروع، فلما وصل إلى هذا الموضع، قال: هذا الرجل كبير، ولكن الحق أكبر منه. قال: ولم نعلم أحداً منع من جواز نسخ الكتاب بخبر الواحد عقلاً، فضلاً عن المتواتر، والغالون في حب الشافعي لما رأوا هذا القول لا يليق بعلو قدره، وهو الذي مهد هذا الفن ورتبه، وأول من أخرجه، قالوا: لا بد أن يكون لهذا القول من هذا العظيم محمل، فتعمقوا في محامل ذكروها. انتهى.

ولا يخفك أن السنة شرع من الله عز وجل، كما أن الكتاب شرع منه سبحانه، وقد

٣٣٤ مختصر إرشاد الفحول

قال تعالى: ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، وأمر سبحانه باتباعه رسوله في غير موضع، فهذا بمجرد يدل على أن السنة الثابتة عنه ثبوتاً على حد ثبوت الكتاب العزيز حكمها حكم القرآن في النسخ وغيره، وليس في العقل ما يمنع من ذلك ولا في الشرع، ومن جملة ما قيل إن السنة فيه نسخت القرآن قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ [البقرة: ١٨٠] الآية، وقوله: ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ [المتحنة: ١١] الآية، وقوله: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ [الأنعام: ١٤٥] الآية، فإنه منسوخة بالنهي عن أكل كل ذي ناب من السباع، ومخلب من الطير.

وقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: ٣]، فإنها منسوخة بأحاديث الدباغ على نزاع طويل في كون ما في هذه الآيات منسوخاً بالسنة. وأما نسخ السنة بالقرآن، فذلك جائز عند الجمهور. قال السمعاني: إنه الأولى بالحق، وجزم به الصيرفي، ولا وجه للمنع قط، ولم يأت في ذلك ما يثبت به المانع لا من عقل ولا من شرع، بل ورد في الشرع نسخ السنة بالقرآن في غير موضع، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٤٤] الآية^(١)، وكذلك نسخ صلحه ﷺ لقريش على أن يرد لهم النساء بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ [المتحنة: ١٠]^(٢)، ونسخ تحليل الخمر بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ [المائدة: ٩٠]^(٣) الآية.

الثامنة

(١) قال الحازمي: اتفق الناس على أنه ﷺ قبل أن يؤمر بالتوجه نحو الكعبة، كان يصلي إلى بيت المقدس، ثم نزلت آية النسخ، واختلفوا في قولين، فقيل: بالسنة، وهو مذهب من يرى نسخ السنة بالقرآن، وتمسكوا بظواهر الأحاديث، وقيل: بالقرآن، روى عن ابن عباس، قال: أول ما نسخ من القرآن مما ذكر لنا شأن القبلة، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]، فاستقبل رسول الله ﷺ، فصلى نحو بيت المقدس، فنسخها الله بقوله: ﴿وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٩].

قال الزركشي: وظاهر كلام الشافعي هذا، وهو ظاهر قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ [البقرة: ١٤٣]، فالضمير في ﴿جَعَلْنَا﴾ يعود على الله تعالى. وانظر: المعتبر (ص ٢٠٨).
(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن العربي (٢/٨٨٥)، والمصنف (٢١٣)، والنحاس (٢٣٥)، والبارزي (٣١٠)، وزاد المسير (٢٣٧/٨)، والإيضاح (٢٧٢).

(٣) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن العربي (٢/٢٨)، والأحكام (١/١٤٨، ١٥٤)، والخبر رواه أبو داود (٣٢٩/٣)، والترمذي (٢٥٦/٤).

مختصر إرشاد الفحول ٣٣٥

ذهب الجمهور إلى أن الفعل من السنة ينسخ القول، كما أن القول ينسخ الفعل، وقد وقع ذلك في السنة كثيراً، ومنه قوله ﷺ في السارق: «فإن عاد في الخامسة فاقتلوه»، ثم رفع إليه سارق في الخامسة فلم يقتله، فكان هذا الترك ناسخاً للقول. وقال: «الطيب بالثيب جلد مائة والرجم»، ثم رجم ماعزاً ولم يجلد، وثبت في الصحيح من قيامه ﷺ للحنازة، ثم ترك ذلك.

التاسعة

ذهب الجمهور إلى أن القياس لا يكون ناسخاً، وقالوا: لا يجوز نسخ شيء من القرآن والسنة بالقياس؛ لأن القياس يستعمل مع عدم النص، فلا يجوز أن ينسخ النص. قال الصيرفي: لا يقع النسخ إلا بدليل، ولا حظ للقياس فيه أصلاً، وقيل: ينسخ به المتواتر ونص القرآن، وقيل: أخبر الآحاد فقط، وقيل: يجوز بالقياس الجلي لا الخفي.

العاشر

في الزيادة على النص، هل يكون نسخاً لحكم النص أم لا؟ وذلك يختلف باختلاف الصور، فالزائد إما أن يكون مستقلاً بنفسه أو لا، والمستقل إما أن يكون من غير جنس الأول كزيادة وجوب الزكاة على الصلاة، فليس بنسخ لما تقدم من العبادات بلا خلاف، ولا يخالف في مثل هذا أحد من أهل الإسلام لعدم التنافي، وإما أن يكون من جنسه، كزيادة صلاة على الصلوات الخمس، فهذا ليس بنسخ على قول الجمهور، وذهب بعض أهل العراق إلى أنها نسخ لحكم المزيدي عليه، كقوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة: ٢٣٨]؛ لأنها تجعلها غير الوسطى، وهو قول باطل لا دليل عليه ولا شبهة دليل، والذي لا يستقل كزيادة ركعة على الركعات وزيادة التغريب على الجلد وزيادة وصف الرقبة بالإيمان فاختلفوا فيه على أقوال:

الأول: أنه لا يكون نسخاً مطلقاً، وبه قالت الشافعية والمالكية والحنابلة وغيرهم.

الثاني: أنها نسخ، وهو قول الحنفية، سواء كانت الزيادة في السبب أو الحكم.

الثالث: إن كان المزيدي عليه ينفي الزيادة بفحواه، فإن تلك الزيادة نسخ كقوله: في سائمة الغنم الزكاة، فإنه يفيد نفى الزكاة على المعلوفة، وإن كان لا ينفي لا يكون نسخاً، حكاه ابن برهان وصاحب المعتمد وغيرهما.

الرابع: أن الزيادة إن غيرت المزيدي عليه تغييراً شرعياً، بحيث لو فعل على حد ما كان

٣٣٦ مختصر إرشاد الفحول

يفعلها قبلها لم يعتد به، كزيادة ركعة تكون نسخاً، وإن كان المزيد عليه يصح، فعله بدون الزيادة لم يكن نسخاً كزيادة التغريب على الجلد.

الحادية عشرة

فى الطريق التى يعرف بها كون الناسخ ناسخاً، وذلك لأمر:

الأول: أن يكون فيه ما يدل على تقدم أحدهما وتأخر الآخر، فى النزول لا التلاوة، فإن العدة بأربعة شهور سابقة على العدة بالحول فى التلاوة مع أنها ناسخة لها، ومن ذلك التصريح فى اللفظ بما يدل على النسخ، كقوله تعالى: ﴿الآن خفف الله عنكم﴾ [الأنفال: ٨]، ومثل قوله: ﴿أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات﴾ [المجادلة: ١٣] ^(١).

الثانى: أن يعرف ذلك بقوله ﷺ كأن يقول: هذا ناسخ لهذا، أو ما فى معناه، كقوله: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها» ^(٢).

الثالث: أن يعرف ذلك بفعله ﷺ، كرجه لما عز ولم يجلده ^(٣).

الرابع: إجماع الصحابة على أن هذا ناسخ، وهذا منسوخ كنسخ صوم يوم عاشوراء بصوم شهر رمضان. ونسخ الحقوق المتعلقة بالمال بالزكاة.

الخامس: نقل الصحابى لتقدم أحد الحكمين وتأخر الآخر، إذ لا مدخل للاجتهاد فيه.

السادس: كون أحد الحكمين شرعياً والآخر موافقاً للعادة، فيكون الشرعى ناسخاً، وخالف فى ذلك القاضى أبو بكر، والغزالى. وأما حداثة الصحابى وتأخر إسلامه، فليس ذلك من دلائل النسخ، وإذا لم يعلم الناسخ من المنسوخ بوجه من الوجوه، فرجح قوم منهم ابن الحاجب الوقف. وقال الآملى: إن علم افتراقهما مع تعذر الجمع بينهما،

(١) حديث نسخ تقديم الصدقة على النجوى، رواه الترمذى عن سيدنا على مرفوعاً (٣٣٥٥)، وعبد بن حميد فى المنتخب (٩٠)، وابن حبان (١٧٦٤، ١٧٦٥، ٢٢٠٨).

(٢) حديث صحيح، رواه مسلم (٦٧٢/٢) عن بريدة، وابن ماجه (١٥٧١) عن ابن مسعود.

(٣) حديث صحيح، رواه البخارى (٦٨٢٥)، ومسلم (١٦٩١) عن أبى هريرة مرفوعاً، ورواه البخارى (٦٨٢٤)، ومسلم (١٦٩٣) عن ابن عباس مرفوعاً، وكذلك البخارى أيضاً (٦٨٢٠)، ومسلم (١٦٩١) عن جابر مرفوعاً ولم يسم.

مختصر إرشاد الفحول..... ٣٣٧

فعندى أن ذلك غير متصور الوقوع، وإن جوزه قوم، وبتقدير وقوعه، فالواجب إما الوقف عن العمل بأحدهما أو التخيير بينهما إن أمكن، وكذلك الحكم فى ما إذا لم يعلم شىء من ذلك.

* * *

المقصد الخامس فى القياس وما يتصل به، وفيه فصول الفصل الأول فى تعريف القياس

وهو فى اللغة تقدير شىء على مثال شىء آخر وتسويته به، وذكروا له فى الاصطلاح حدوداً على كل حد منها اعتراضات يطول الكلام بذكرها. وأحسن ما يقال فى حده: استخراج مثل حكم المذكور لما لم يذكر بجامع بينهما. قال الرويانى: وموضوعه طلب أحكام الفروع المسكوت عنها من الأصول المنصوصة بالعلل المستنبطة من معانيها ليلحق كل فرع بأصله، وقيل غير ذلك مما هو دون ما ذكرناه.

الفصل الثانى فى حجبة القياس^(١)

قد وقع الاتفاق على أنه حجة فى الأمور الدنيوية، كما فى الأدوية والأغذية، وكذلك اتفقوا على حجبة القياس الصادر منه ﷺ، وإنما وقع الخلاف فى القياس الشرعى، فذهب الجمهور من الصحابة والتابعين والفقهاء والمتكلمين إلى أنه أصل من أصول الشريعة يستدل به على الأحكام التى يرد بها السمع، ثم اختلفوا، فقال الأكثرون: هو دليل بالشرع، وقال القفال والبصرى: دليل بالعقل، والأدلة السمعية وردت مؤكدة له، وقال الدقاق: يجب العمل به بالعقل والشرع، وجزم به ابن قدامة فى الروضة، وجعله مذهب أحمد بن حنبل، وذهب أهل الظاهر والنظام إلى امتناعه عقلاً وشرعاً، وإليه مال أحمد.

ثم اختلفوا، هل دلالة السمع عليه قطعية أو ظنية؟ فذهب الأكثرون إلى الأول، وذهب أبو حسين والآمدى إلى الثانى، وأول من باح بإنكار القياس النظام، وتابعه قوم من المعتزلة، وتابعهم على نفيه فى الأحكام داود الظاهرى. قال ابن عبد البر فى كتاب

(١) انظر فى بيان أنه حجة: المحصول (٢/٢٤٥، ٢٩٩)، إحكام الآمدى (٤/٥، ٧٢)، المستصفى (٢/٢٣٤، ٢٤١)، المعتمد للبصرى (٢/٢١٥، ٢٣٤)، نهاية السؤل (٤/٦، ٢٢)، مختصر ابن اللحام (ص ١٥٠، ١٥١)، التحرير (٢/٥٧٤)، تيسير الوصول (٢/١٣٢١)، العضد على ابن الحاجب (٢/٣٠).

جامع العلم: لا خلاف بين فقهاء الأمصار وسائر أهل السنة في نفي القياس في التوحيد وإثباته في الأحكام إلا داود، فإنه نفاه فيهما جميعاً. قال الأستاذ أبو منصور: أما داود، فزعم أنه لا حادثة إلا وفيها حكم منصوص عليه في الكتاب أو السنة، أو معدول عنه بفحوى النص ودليله، وذلك يغنى عن القياس. قال ابن حزم في الأحكام: ذهب أهل الظاهر إلى إبطال القول بالقياس جملة، وهو قولنا الذى ندين الله به، والقول بالعلل باطل. انتهى.

وإذا عرفت هذا، فاعلم أن نفاة القياس لم يقولوا بإهدار كل ما يسمى قياساً، وإن كان منصوفاً على علته، أو مقطوعاً فيه بنفى الفارق، بل جعلوا هذا النوع من القياس مدلولاً عليه بدليل الأصل، مشمولاً به مندرجاً تحته، وبهذا يهون عليك الخطب، ويصغر عندك ما استعظموه، ويقرب لديك ما بعده؛ لأن الخلاف في هذا النوع الخاص صار لفظياً، وهو من حيث المعنى متفق على الأخذ به والعمل عليه، واختلاف طريقة العمل لا يستلزم الاختلاف المعنوي لا عقلاً ولا شرعاً، ثم لا يخفى على ذى لب صحيح وفهم صالح أن في عمومات الكتاب والسنة ومطلقاتها وخصوص نصوصهما ما يفى بكل حادثة تحدث ويقوم ببيان كل نازلة تنزل عرف ذلك من عرف وجهه من جهله.

الفصل الثالث

في أركان القياس

وهي أربعة: الأصل، والفرع، والعلة، والحكم، ولا بد من هذه الأربعة في كل قياس، والأصل يطلق على أمور، منها الذى يقع عليه القياس، وهو المراد هنا، وقد وقع الخلاف فيه. قال الفقهاء: هو الحكم المشبه به. قال ابن السمعاني: هذا هو الصحيح، وقيل غير ذلك، وعلى الجملة الفقهاء يسمون محل الوفاق أصلاً، ومحل الخلاف فرعاً، فالأصل هو المشبه به، ولا يكون ذلك إلا لمحل الحكم لا لنفس الحكم ولا لدليله. والفرع هو المشبه لا لحكمه. والعلة هي الوصف الجامع بين الأصل والفرع. والحكم هو ثمرة القياس، والمراد به ما ثبت للفرع بعد ثبوته لأصله.

ولا يكون القياس صحيحاً إلا بشروط اثني عشر لا بد من اعتبارها في الأصل:

الأول: أن يكون الحكم الذى أريد تعديته إلى الفرع ثابتاً في الأصل.

الثاني: أن يكون الحكم الثابت في الأصل شرعياً لا عقلياً ولا لغوياً.

الثالث: أن يكون الطريق إلى معرفته سمعية.

الرابع: أن يكون الحكم ثابتاً بالنص، وهو الكتاب أو السنة.

الخامس: أن لا يكون الأصل المقيس عليه فرعاً لأصل آخر، وإليه ذهب الجمهور، وخالف فيه بعض الحنبلة فأجازوه.

السادس: أن يكون دليل حكم الأصل شاملاً لحكم الفرع.

السابع: أن يكون الحكم في الأصل متفقاً عليه، أى عند الخصمين فقط لتنضبط فائدة المناظرة، وقيل: عند الأمة. قال الزركشى: والصحيح الأول.

الثامن: أن لا يكون حكم الأصل ذا قياس مركب، والجمهور على اعتبار هذا الشرط، وخالفهم جماعة فلم يعتبروه، وقد طول الأصوليون والجدليون الكلام على هذا الشرط بما لا طائل تحته.

التاسع: أن لا نكون متعبدين في ذلك الحكم بالقطع على خلاف فيه.

العاشر: أن لا يكون معدولاً به عن قاعدة القياس، كشهادة خزيمة وعدد الركعات ومقادير الحدود؛ لأن إثبات القياس عليه إثبات للحكم مع منافيه وبمنعه قال الحنفية، وجوزوه أصحاب الشافعي.

الحادى عشر: أن يكون حكم الأصل مغلفاً على خلاف ذلك.

الثانى عشر: أن لا يكون الحكم في الفرع ثابتاً قبل الأصل، فلو تقدم لزم اجتماع التقيضين أو الضدين، وهو محال، هذا حاصل ما ذكره من الشروط المعتمدة في الأصل.

واعلم أن العلة ركن لا يصح القياس بدونها؛ لأنها الجامعة بين الأصل والفرع، وذهب بعض القياسيين من الحنفية وغيرهم إلى صحته من غير علة إذا لاح بعض الشبهة، والحق ما ذهب إليه الجمهور من أنها معتبرة لا بد منها في كل قياس، وهى فى اللغة اسم لما يتغير الشيء بمحصله، وفى الاصطلاح اختلفوا فيها على أقوال سبعة حكاهما فى الإرشاد^(١)، منها أنها المعرفة للحكم بأن جعلت علماً على الحكم إن وجد المعنى وجد الحكم، قاله الصيرفى، وأبو زيد من الحنفية، ثم للعلة أسماء تختلف باختلاف الاصطلاحات، فيقال له: السبب، والأمانة، والداعى، والمستدعى، والباعث، والحامل،

(١) انظر: إرشاد الفحول للشوكاني (١٤١/٢، ١٤٢).

والمناط، والدليل، والمقتضى، والموجب، والمؤثر. وذهب المحققون إلى أنه لا بد من دليل على صحتها؛ لأنها شرعية كالحكم، ومنهم من قال إنها تحتاج إلى دليلين يعلم بأحدهما أنها علة وبالأخر أنها صحيحة.

الفصل الرابع

فى الكلام على مسالك العلة^(١)

وهى طريقها الدالة عليها، ولما كان لا يكتفى فى القياس بمجرد وجود الجامع فى الأصل والفرع، بل لا بد فى اعتباره من دليل يدل عليه، والأدلة عند الجمهور، إما النص، أو الإجماع، أو الاستنباط، احتاجوا إلى بيان مسالكها، واختلفوا فى عددها، فقال الرازى فى المحصول: هى عشرة:

المسلك الأول: الإجماع، وهو نوعان، إجماع على علة معينة، كتعليل ولاية المال بالصغر، وعنى أصل التعليل، وإن اختلفوا فى عين العلة، كإجماع السلف على أن الربا فى الأصناف الأربعة مغل، واختلفوا فى العلة ماذا هى، ولا يشترط فيه أن يكون قطعياً، بل يكتفى فيه بالإجماع الظنى.

المسلك الثانى: النص على العلة، أى ما كان دلالة عليها ظاهرة، قاطعة كانت أو محتملة، والقاطع ما يكون صريحاً كقوله تعالى: ﴿من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل﴾ [المائدة: ٣٢]، وغير القاطع ثلاثة: اللام، وإن، والباء، كقوله: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقوله ﷺ: «إنها من الطوافين»^(٢)، وقوله تعالى: ﴿ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله﴾ [الأنفال: ١٣]، والأخذ بالعلة المنصوصة^(٣) من باب القياس عند الجمهور، ومن العمل بالنص عند النافين له، والخلاف

(١) انظر: إحكام الأمدى (٣/٣٦٤)، المحصول (٢/٣١٢)، نهاية السؤل (٤/٢٢، ٢٦)، اللمع (ص ٥٩)، فواتح الرحموت (٢/٣١٦)، المعتمد للبصرى (٢/٢٣٥)، المستصفى (٢/٢٧٢)، (٢٧٤).

(٢) صحيح رواه أحمد فى المسند (٥/٣٤٨)، وأبو داود (١/١٩، ٢٠)، (٧٥)، والترمذى (١/١٥٣)، (١٥٤) (٩٢)، والنسائى (١/٥٥)، وابن ماجة (١/١٣١)، (٣٦٧)، ومالك فى الموطأ (١/٢٢)، (٢٣) (١٣)، والدارمى (١/٢٠٣، ٢٠٤) (٧٣٦).

(٣) التنصيص على العلة، معناه: ذكر الشارع الوصف الصالح للعلة بعبارة تدل على التعليل، سواء كانت تلك العبارة من قبيل النص أم من قبيل الظاهر. وانظر: الصالح فى مباحث القياس للسيد صالح (ص ١٥٣، ١٦٧).

على هذا لفظي.

المسلك الثالث: الإيماء والتنبيه، وهو أنواع:

الأول: تعليق الحكم على العلة بالفاء.

الثاني: أن يذكر الشارع مع الحكم وصفاً لو لم يكن علة لعري عن الفائدة.

الثالث: أن يفرق بين حكمين لوصف نحو: للراجل سهم ولل فارس سهمان.

الرابع: أن يذكر عقب الكلام، أو في سياقة شيئاً لو لم يعلل به الحكم المذكور لم ينتظم الكلام، نحو: ﴿وذروا البيع﴾ [الجمعة: ٩]؛ لأن البيع لا يمنع منه مطلقاً.

الخامس: ربط الحكم باسم مشتق، فإن تعليق الحكم به مشعر بالعلية نحو: أكرم زيداً العالم

السادس: ترتب الحكم على الوصف بصيغة الشرط والجزاء، نحو: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً﴾ [الطلاق: ٢]، أى لأجل تقواه.

السابع: تعليل عدم الحكم منه بوجود المانع منه، نحو قوله تعالى: ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض﴾ [الشورى: ٢٧].

الثامن: إنكاره سبحانه على من زعم أنه لم يخلق الخلق لفائدة ولا لحكمة بقوله: ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً﴾ [المؤمنون: ١١٥]، وقوله: ﴿يَحْسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦].

التاسع: إنكاره سبحانه أن يسوى بين المختلفين، ويفرق بين المتماثلين، فالأول كقوله: ﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين﴾ [القلم: ٣٥]، والثاني كقوله: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ [التوبة: ٧١].

المسلك الرابع: الاستدلال على علية الحكم بفعل النبي ﷺ، كأن يسجد للسهو، فيعلم أن ذلك السجود إنما كان لسهو قد وقع منه، وقد يكون ذلك الفعل من غيره بأمره كرجم ماعز، وهكذا الترك له حكم الفعل كتركه للطيب والصيد وما يجتنبه المحرم، فإن ذلك لأجل الإحرام.

المسلك الخامس: السبر والتقسيم، وهو في اللغة الاختبار، وفي الاصطلاح هو

مختصر إرشاد الفحول ٣٤٣

قسمان: أحدهما: أن يدور بين النفي والإثبات، وهذا هو المختصر. والثاني: أن لا يكون كذلك، وهو المنتشر، وفي الأول حصر الأوصاف التي يمكن التعليل بها للمقيس عليه، ثم اختبارها في المقيس وإبطال ما لا يصلح منها بدليله. وأما المنتشر، وذلك بأن لا يدور بين النفي والإثبات، أو دار لكن كان الدليل على نفي عليه ما عدا الوصف المعين فيه ظنيًا، وفيه مذهب:

الأول: أنه ليس بحجة مطلقًا. **الثاني:** أنه حجة في العمليات فقط، واختاره الجويني، وابن برهان، وابن السمعاني. قال الصفي الهندي: هو الصحيح. **الثالث:** أنه حجة للناظر دون المناظر.

المسلك السادس: المناسبة، ويعبر عنها بالإخالة وبالمصلحة وبلاستدلال برعاية المقاصد، ويسمى استخراجها تخريج المناظر، وهي عمدة كتاب القياس ومحل غموضه ووضوحه، والمناسبة في اللغة الملائمة والمناسب الملائم، وقد اختلف في تعريفها، ف قيل: إنها الملائم لأفعال العقلاء في العادات، أي ما يكون بحيث يقصد العقلاء تحصيله على مجاري العادة بتحصيل مقصود مخصوص. وقيل: إنها ما تجلب للإنسان نفعًا أو تدفع عنه ضررًا. والمناسب قسمان: حقيقي وإقناعي، والحقيقي ينقسم إلى ما هو واقع في محل الضرورة، ومحل الحاجة، ومحل التحسين.

الأول: الضروري، وهو المتضمن لحفظ مقصود من المقاصد الخمس، أحدها: حفظ النفس بشرعية القصاص، فإنه لولا ذلك لتهارج الخلق واحتل نظام المصالح. ثانيهما: حفظ المال بأمرين، أحدهما: إيجاب الضمان على المتعدى، وثانيهما: القطع بالسرقة. ثالثها: حفظ النسل بتحريم الزنا وإيجاب العقوبة عليه بالحد. رابعها: حفظ الدين بشرعية القتل بالردة والقتال للكفار. خامسها: حفظ العقل بشرعية الحد على شرب المسكر، فإن العقل هو قوام كل فعل تتعلق به مصلحة، فاختلاله يؤدي إلى مفساد عظيمة. وزاد بعض المتأخرين شرطًا سادسًا، وهو حفظ الأعراض، فإن عادة العقلاء بذل نفوسهم وأموالهم دون أعراضهم، وقد شرع في الجناية عليه بالقذف الحد.

الثاني: الحاجي، وهو ما يقع في محل الحاجة لا محل الضرورة، كالإجارة، والمساقاة، والقراض، والمناسبة قد تكون جلية، فتنتهي إلى القطع كالضروريات، وقد تكون خفية كالمعاني المستنبطة لا لدليل إلا مجرد احتمال اعتبار الشرع لها.

٣٤٤ مختصر إرشاد الفحول

الثالث: التحسيني، وهو ما يكون غير معارض للقواعد كتحريم القاذورات، فإن نفرة الطباع عنها لقذارتها معنى يناسب حرمة تناولها حتاً على مكارم الأخلاق، كما قال تعالى: ﴿وَيَحْرَمُ عَلَيْهِمُ الْحَبَائِثُ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

المسلك السابع: الشبه، ويسميه بعض الفقهاء الاستدلال بالشيء على مثله، وهو من أهم ما يجب الاعتناء به. قال ابن الأنباري: لست أرى في مسائل الأصول مسألة أغمض منه، وقد اختلفوا في تعريفه، قال الجويني: لا يمكن تحديده. وقال غيره: يمكن، فقليل: هو إلحاق فرع بأصل لكثرة أشباهه للأصل في الأوصاف من غير أن يعتقد أن الأوصاف التي شابه الفرع بها الأصل عليه حكم الأصل، واختلف في الفرق بينه وبين الطرد. والحاصل أن الشبهى والطردى يجتمعان في عدم الظهور في المناسب، ويتخالفان في أن الطردى عهد من الشارع عدم الالتفات إليه، واختلفوا في كونه حجة على مذاهب:

الأول: أنه حجة، وإليه ذهب الأكثرون.

الثاني: أنه ليس بحجة، وبه قال أكثر الحنفية، وإليه ذهب من ادعى التحقيق منهم، وإليه ذهب القاضى أبو بكر، والأستاذ أبو منصور، وأبو إسحاق المروزي، وأبو إسحاق الشيرازي، والصيرفي، والطبري.

الثالث: اعتباره في ما غلب على الظن أنه مناط الحكم بأن يظن أنه مستلزم لعلة الحكم، فمتى كان كذلك صح القياس، سواء كان المشابهة في الصورة أو المعنى، وإليه ذهب الفخر الرازي.

الرابع: إن تمسك به المجتهد كان حجة في حقه إن حصلت غلبة الظن وإلا فلا، وأما المناظر، فيقبل منه مطلقاً، هذا اختاره الغزالي في المستصفى.

المسلك الثامن: الطرد، والمراد منه الوصف الذى لم يكن مناسباً ولا مستلزماً للمناسب إذا كان الحكم حاصلًا مع الوصف في جميع الصور المغايرة لمحل النزاع، وهذا المراد من الاطراد والجريان، وهو قول كثير من الفقهاء. وقد اختلفوا في كون الطرد حجة، فذهب بعضهم إلى أنه ليس بحجة مطلقاً، وذهب آخرون إلى أنه حجة مطلقاً، وذهب بعض أهل الأصول إلى التفصيل المذكور في الإرشاد، واختار الرازي والبيضاوى أنه حجة.

المسلك التاسع: الدروان، وهو أن يوجد الحكم عند وجود الوصف، ويرتفع بارتفاعه في صورة واحدة كالتحريم مع السكر في العصير، ذهب الجمهور إلى أنه يفيد ظن العلية، بشرط عدم المزاحم. وقال الطبري: إن هذا المسلك أقوى المسالك، وذهب بعض أهل الأصول إلى أنه لا يفيد بمجرد لا قطعاً ولا ظناً. والفرق بينه وبين الطرد أن الطرد عبارة عن المقارنة في الوجود دون العدم والدروان عبارة عن المقارنة وجوداً وعدماً.

المسلك العاشر: تنقيح المناط، والتنقيح في اللغة التهذيب والتمييز، والمناط هو العلة، ومعناه عند الأصوليين إلحاق الفرع بالأصل بإلغاء الفارق بأن يقال: لا فرق بين الأصل والفرع إلا كذا، وذلك لا مدخل له في الحكم البتة، فيلزم اشتراكهما في الموجب له، كقياس الأمة على العبد في السراية، فإنه لا فرق بينهما إلا الذكورة، وهو ملغى بالإجماع، إذ لا مدخل له في العلية. والحق أن تنقيح المناط قياس خاص مندرج تحت مطلق القياس، وهو علم يتناول له وغيره، وكل منهما قد يكون ظنياً، وهو الأكثر، وقطعياً، لكن حصول القطع في ما فيه الإلحاق بإلغاء الفرق أكثر من الذي لا إلحاق فيه بذكر الجامع، لكن ليس ذلك فرقاً في المعنى، بل في الوقوع، وحيث لا فرق بينهما في المعنى.

المسلك الحادي عشر: تحقيق المناط، وهو أن يقع الاتفاق على علية وصف بنص أو إجماع، فيجتهد في وجودها في صورة النزاع كتحقيق أن النباش سارق. ثم إنهم جعلوا القياس ثلاث أقسام من أصله، قياس عنة، وهو ما صرح فيه بالعلة كما يقال في النبيذ: إنه مسكر، فيحرم كالخمر. وقياس الدلالة، وهو أن لا يذكر فيه العلة، بل وصف ملازماً لها كما علل في قياس النبيذ على الخمر برائحة المشتد، والقياس الذي في معنى الأصل، وهو أن يجمع بين الأصل والفرع بنفى الفارق، وهو تنقيح المناط، وأيضاً قسموا القياس إلى جلى وخفى، فالجلى ما قطع فيه بنفى الفارق بين الأصل والفرع كقياس الأمة على العبد في أحكام العتق. والخفى بخلافه، وهو ما كان نفى الفارق فيه مطنوناً كقياس النبيذ على الخمر في الحرمة.

الفصل الخامس

فى الاستدلال^(١)

وهو فى اصطلاحهم ما ليس بنص ولا إجماع ولا قياس، وهى ثلاثة أنواع: الأول: التلازم بين الحكمين من غير تعيين علة وإلا كان قياساً. الثانى: استصحاب الحال. الثالث: شرع من قبلنا. وقالت الحنفية: ومن أنواع نوع رابع، وهو الاستسحسان. وقالت المالكية: الخامس منها هو المصالح المرسلة، وستفرد لكل واحد من هذه بحثاً.

الأول: فى التلازم، وحاصل هذا البحث يرجع إلى الاستدلال بالأقيسة الاستثنائية والاقترانية. قال الآمدى: ومن أنواع الاستدلال قولهم: وجد السبب والمانع أو فقد الشرط. وقال بعضهم: إنه ليس بدليل، وإنما هو دعوى دليل. والصواب: إنه الاستدلال لا دليل ولا مجرد دعوى.

الثانى: الاستصحاب^(٢)، أى استصحاب الحال لأمر وجودى وعدمى عقلى أو شرعى، ومعناه أن ما ثبت فى الزمن الماضى فالأصل بقاءه فى الزمن المستقبل. قال الخوارزمى فى الكافى، وهو آخر مدار الفتوى: إذا لم يجد المفتى حكم الحادثة فى الكتاب والسنة والإجماع والقياس، فيأخذ حكمها من استصحاب الحال فى النفس والإثبات، فإن كان التردد فى زواله فالأصل بقاءه، وإن كان التردد فى ثبوته، فالأصل عدم ثبوته، انتهى محصلاً.

الثالث: شرع من قبلنا، وفيه مسألتان:

الأولى: هل كان نبينا ﷺ قبل البعثة متعبداً بشرع أم لا؟ واختلفوا فيه على مذاهب، قال الجوينى: هذه المسألة لا تظهر لها فائدة، بل تجرى مجرى التواريخ المنقولة، وهذا صحيح وأقرب الأقوال قول من قال: إنه كان متعبداً بشريعة إبراهيم، عليه السلام، فقد كان كثير البحث عنها عاملاً بما بلغ إليه منها.

الثانية: هل كان متعبداً بعد البعثة بشرع من قبله أم لا؟ اختلفوا فى ذلك على أقوال

(١) الاستدلال فى اللغة: استفعال من طلب الدليل والطريق المرشد إلى المطلوب. وانظر: إحكام الآمدى (١٦١/٤)، إرشاد الفحول (٢٥١/٢، ٢٥٣).

(٢) هو الحكم بثبوت أمر فى الزمن الثانى لثبوته فى الزمن الأول لعدم ما يصلح للتغيير. وانظر: إحكام الآمدى (١٧٢/٤)، والمحصول (٢٤٩/٢، ٢٥٩)، المعتمد (٣٥٢/٢، ٣٢٧)، نهاية السؤل (٢٥٨/٤).

الرابع: الاستحسان^(١)، ونسب القول به الحنفية والحنابلة، وأنكره الجمهور، حتى قال الشافعي: من استحسن فقد شرع. قال بعض المحققين: الاستحسان كلمة يطلقها أهل العلم على ضربين: أحدهما: واجب بالإجماع، وهو أن يقدم الدليل الشرعي أو العقلي لحسنه، فهذا يجب العمل به؛ لأن الحسن ما حسنه الشرع، والقيح ما قبحه الشرع. وثانيهما: أن يكون على مخالفة الدليل مثل أن يكون الشيء محظوراً بدليل شرعي، وفي عادات الناس التخفيف، فهذا يحرم القول به، ويجب اتباع الدليل وترك العادة والرأي، سواء كان الدليل نصاً أو إجماعاً أو قياساً.

الخامس: المصالح المرسلة^(٢)، والمراد بالمصلحة المحافظة على مقصود الشرع بدفع المفاسد عن الخلق. قال الغزالي: وهي أن يوجد معنى يشعر بالحكم مناسب عقلاً، ولا يوجد أصل متفق عليه، وفيها مذاهب: الأول: منع التمسك بها مطلقاً، وإليه ذهب الجمهور. الثاني: الجواز مطلقاً، وهو المحكى عن مالك. الثالث: إن كانت ملائمة لأصل كلي أو جزئي من أصول الشرع جاز الإحكام عليها، وإلا فلا. قال ابن برهان: إنه الحق المختار. الرابع: إن كانت تلك المصلحة ضرورية قطعية كلية كانت معتبرة، فإن عدم أحد هذه الثلاثة لم تعتبر، واختاره الغزالي والبيضاوي.

* * *

(١) انظر: إحكام الآمدي (٢٠٩/٤، ٢١٥)، المحصول (٥٥٩/٢، ٥٦١)، المعتمد (٢٩٥/٢، ٢٩٧)، مختصر ابن اللحام (ص ١٦٢)، اللمع (ص ٦٨)، حاشية المطيعي على نهاية السؤل (٤٠٣/٤، ٤٠٤)، أصول الفقه لأبي النور زهير (١٨٨/٤).

(٢) انظر: الإحكام (٢١٥/٤، ٢١٧)، نهاية السؤل (٣٨٥/٤، ٣٩٥)، المحصول (٥٧٨/٢، ٥٨١)، مختصر ابن اللحام (ص ١٦١، ١٦٢)، أصول أبي النور (١٨٥/٤، ١٨٧).

المقصد السادس فى الاجتهاد والتقليد

وفيه فصلان

الفصل الأول فى الاجتهاد

وفيه مسائل^(١)

الأولى فى حده

وهو فى اللغة مأخوذ من الجهد، وهو المشقة والطاقة، وفى الاصطلاح استفراغ
الوسع فى طلب الظن بشئ من الأحكام الشرعية على وجه يحس من النفس العجز عن
المزيد عليه، فالمجتهد هو الفقيه المستفرغ لوسعه لتحصيل ظن بحكم شرعى، ولا بد أن
يكون عاقلاً بالغاً قد ثبت له ملكة يقتدر بها على استخراج الأحكام من مأخذها، وإنما
يتمكن من ذلك بشروط:

الأول: أن يكون عالماً بنصوص الكتاب والسنة، فإن قصر فى أحدهما لم يكن
مجتهداً، ولا يجوز له الاجتهاد، ولا يشترط معرفته بجميع الكتاب والسنة، بل بما يتعلق
فيهما بالأحكام.

الثانى: أن يكون عارفاً بمسائل الإجماع حتى لا يفتى بخلاف ما وقع الإجماع عليه إن
كان ممن يقول بحجته، ويرى أنه دليل شرعى، وقل أن يلتبس على من بلغ رتبة الاجتهاد
ما وقع عيه الإجماع من المسائل.

الثالث: أن يكون عالماً بلسان العرب، بحيث يمكنه تفسير ما ورد فى الكتاب والسنة
من الغريب ونحوه، ولا يشترط حفظه عن ظهر قلب، بل الاعتبار التمكن من استخراجها

(١) انظر: مقاييس اللغة (٤٨٧/١)، واللسان (١٣٦٣/٢)، والعضد على ابن الحاجب (٢٨٩/٢)،
تيسير الوصول (١٨٧٩/٤)، شرح الكوكب المنير (٢٦٦/٤)، تيسير التحرير (١٨٢/٤)، جمع
الجوامع (٨٣٢/٢)، صفة المفتى (ص ٣٠)، حاشية البناني على جمع الجوامع (٣٨٨/٢)،
المستصفى (٣٥٠/٢)، الإحكام (٢١٨/٤، ٢١٩)، نهاية السؤل (٥٢٤/٤)، اللمع (ص ٧٣)،
مختصر ابن اللحام (ص ١٦٣)، المحصول (٤٨٩/٢)، فواتح الرحموت (٣٦٢/٢)، الإرشاد
(٢٩٠/٢).

مختصر إرشاد الفحول ٣٤٩
من مؤلفات الأئمة.

الرابع: أن يكون عالمٌ بعلم أصول الفقه، فإنه أهم العلوم للمجتهد، وهو عماد فسطاط الاجتهاد وأساسه الذى تقوم عليه أركان بنائه، وعليه أن يطول الباع فيه ويطلع على مختصراته ومطولاته وينظر فى كل مسألة من مسائله نظراً يوصله إلى ما هو الحق فيها.

الخامس: أن يكون عارفاً بالناسخ والمنسوخ، بحيث لا يخفى عليه شىء من ذلك.

الثانية

هل يجوز خلو العصر عن المجتهدين أم لا؟ فذهب جمع إلى أنه لا يجوز خلو الزمان عن مجتهد قائم بحجج الله يبين للناس مما نزل إليهم، وبه قالت الحنابلة، ويدل على ذلك ما صح عنه عليه السلام من قوله: «لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة»^(١)، وهذا هو الحق المبين، وقد حكى الزركشى فى البحر، عن الأكثرين، أنه يجوز خلو العصر عن المجتهد، وبه حزم الرازى، والرافعى، والغزالي. قال الزبيرى: لن تخلو الأرض من قائم لله بالحجة فى كل وقت ودهر وزمان، وذلك قليل فى كثير. قال ابن دقيق العيد: هذا هو المختار عندنا. انتهى.

الثالثة

اختلفوا فى جواز الاجتهاد للأنبياء صلوات الله وتسليماته عليهم أجمعين، بعد أن أجمعوا على أنه يجوز عقلاً تعبدهم بالاجتهاد كغيرهم من المجتهدين على ما حكاه ابن فورك، والأستاذ أبو منصور، وأيضاً أجمعوا على أنه يجوز لهم الاجتهاد فى ما يتعلق بمصالح الدنيا وتدبير الحروب ونحوها، حكى هذا الإجماع سليم الرازى وابن حزم، وذلك كما ثبت عنه عليه السلام من إرادته أن يصالح غطفان على ثمار المدينة^(٢)، وكذلك ما يلزم عليه من ترك تلقيح ثمار المدينة، فأما اجتهادهم فى الأحكام الشرعية والأمور الدينية، فقد اختلفوا فى ذلك على مذاهب:

الأول: ليس لهم ذلك لقدرتهم على النص بنزول الوحي، وهو المحكى من أصحاب الرأى، وهو ظاهر اختيار ابن حزم.

(١) حديث صحيح، رواه مسلم (١٥٢٣/٣)، (١٥٢٤).

(٢) صحيح، رواه مسلم (١٨٣٦/٤)، (٢٣٦٣)، وابن ماجة (٨٢٥/٢)، (٢٤٧١).

٣٥٠ مختصر إرشاد الفحول

الثاني: أنه يجوز لنبينا ﷺ ولغيره من الأنبياء، وإليه ذهب الجمهور، وقالوا: قد وقع ذلك كثيراً منه ﷺ ومن غيره من الأنبياء، فمنه ﷺ كقوله: «أرأيت لو تضمامت»^(١)، «أرأيت لو كان على أهلك دين»^(٢)، وقوله للعباس: «إلا الإذخر»، ولم ينتظر الوحى فى هذا ولا فى كثير مما سئل عنه. وقد قال ﷺ: «ألا وإنى قد أوتيت القرآن ومثله معه»^(٣)، وأما من غيره فمثل قصة داود وسليمان.

الثالث: الوقف عن القطع بشيء من ذلك، وزعم الصيرفى فى شرح الرسالة أنه مذهب الشافعى واختاره الباقلانى والغزالى، ولا وجه للوقف فى مثل هذه المسألة للأدلة الدالة على الوقوع، على أنه يدل على ذلك دلالة واضحة ظاهرة، قوله تعالى: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾ [التوبة: ٤٣]، فعاتبه على ما وقع منه، ولو كان ذلك بالوحى لم يعاتبه.

ومن ذلك ما صح عنه ﷺ من قوله: «لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لما سقت الهدى»^(٤)، ومثل ذلك لا يكون فى ما عمله ﷺ بالوحى، وأمثال ذلك كثيرة فى الكتاب والسنة، ولم يأت المانعون بحجة يستحق المنع أو التوقف لأجلها.

الرابعة: فى ما ينبغى للمجتهد أن يعلمه فى إجهاده ويعتمد عليه، فعليه أولاً أن ينظر فى نصوص الكتاب والسنة، فإن وجد ذلك فيهما قدمه على غيره، فإن لم يجده أخذ بالظاهر منهما وما يستفاد بمنطوقهما ومفهومهما، فإن لم يجد نظر فى أفعال النبى ﷺ، ثم تقريراته لبعض أئمة، ثم الإجماع إن كان يقول بحجته، ثم فى القياس على ما يقتضيه اجتهاده من العمل بمسالك العلة كلاً أو بعضاً، وإذا أعوزه ذلك كله تمسك بالبراءة الأصلية، وعليه عند التعارض بين الأدلة أن يقدم طريق الجمع على وجه مقبول، فإن أعوزه ذلك رجع إلى الترجيح بالمرجححات التى سيأتى ذكرها.

(١) رواه أبو داود (٧٧٩/٢)، والنسائى (٢٦٣/٣)، كما فى مختصر السنن للمنذرى، وأحمد فى المسند (٢١/١)، والدارمى (١٣/٢)، وهو حديث ضعيف، وانظر المعبر للزركشى (ص ٢١٥).
(٢) حديث صحيح رواه البخارى (٣٧٨/٣)، ومسلم (٩٧٣/٢)، والنسائى (١١٨/٥) باللفاظ متقاربة.

(٣) صحيح، رواه أبو داود (١٩٩/٤) (٤٦٠/٤)، وأحمد فى المسند (١٦١/٤) (١٧١٧٩)، والبيهقى فى الكبرى (٣٣٢/٩)، وابن عبد البر فى التمهيد (١٥٦/٢).

(٤) صحيح، رواه البخارى (٥٨٨/٣) (١٦٥١)، ومسلم (٨٧٩/٢) (١٣٠/١٢١١)، وأبو داود (١٨٩/٢) (١٩٠٥)، وابن ماجه (١٠٢٢/٢) (٣٠٧٤)، وأحمد (٣٣٣/١)، والدارمى (٦٧/٢)، (١٨٥٠) (٧١).

الفصل الثاني

فى التقليد وما يتعلق به من أحكام المفتى والمستفتى^(١)

وفيه مسائل:

الأولى فى التقليد والمفتى والمستفتى

أما التقليد، فأصله فى اللغة من القلادة التى يقلده غيره بها، ومنه تقليد الهدى، فكأنه المقلد جعل الحكم الذى قلده فيه المجتهد كالقلادة فى عنق من قلده، وذكروا له اصطلاحاً وحدوداً، والأولى أن يقال: هو قبول رأى من لا تقوم به الحجة بلا حجة، وفوائد هذه القيود معروفة. والمفتى هو المجتهد، وقد تقدم بيانه، ومثله قول من قال: إن المفتى الفقيه؛ لأن المراد به المجتهد فى مصطلح أهل الأصول والمستفتى من ليس بمجتهد أو من ليس بفقيه.

الثانية

اختلفوا فى المسائل العقلية، وهى المتعلقة بوجود البارى وصفاته هل يجوز التقليد فيها أم لا؟ قال العبرى: يجوز، وذهب الجمهور إلى أنه لا يجوز، وحكاه أبو إسحاق الأستاذ عن إجماع أهل العلم من أهل الحق وغيرهم من الطوائف. قال ابن القطان: لا نعلم خلافاً فى امتناع التقليد فى التوحيد.

الثالثة

اختلفوا فى المسائل الشرعية، هل يجوز التقليد فيها أم لا؟ فذهب جماعة من أهل العلم إلى أنه لا يجوز مطلقاً. قال القرافى: مذهب مالك وجمهور العلماء وجوب الاجتهاد وإبطال التقليد. وادعى ابن حزم الإجماع على النهى عن التقليد، وقال: فهنا مالك ينهى عن التقليد، وكذلك الشافعى، وأبو حنيفة، وقد ذكرت نصوص الأئمة الأربعة المصرحة بالنهى عن التقليد فى الرسالة التى سميتها: الجنة فى الأسوة الحسنة بالسنة، فلا نطول المقام بذكر ذلك.

وبهذا تعلم أن المنع من التقليد إن لم يكن إجماعاً، فهو مذهب الجمهور، ويؤيد هذا الإجماع على عدم جواز تقليد الأموات، وكذلك إن عمل المجتهد برأيه، فهو رخصة له

(١) انظر: القاموس المحيط (٣٣٠/١ قند)، والمستصفى (٣٨٧/٢)، وفواتح الرحموت (٤٠٠/٢)، والإحكام للآمدى (٣١٥/٤، ٣١٦)، نهاية السؤل (١١/٣)، تيسير الوصول (١٩٢٦/٤)، الإبهاج (٢٨٧/٣)، ابن الحاجب (٣٠٩/٢)، الجوامع (٣٩٣/٢).

٣٥٢ مختصر إرشاد الفحول

عند عدم الدليل، ولا يجوز لغيره أن يعمل بالإجماع، فهذان الإجماعان يجتنبان التقليد من أصله.

الرابعة

اختلفوا هل يجوز لمن ليس بمجتهد أن يفتي بمذهب إمامه الذي يقلده أو بمذهب إمام آخر، فقيل: لا يجوز، وإليه ذهب جماعة من أهل العلم منهم أبو الحسن البصري، والصيرفي وغيرهم، وذهب جماعة إلى أنه يجوز للمقلد أن يفتي بمذهب مجتهد من المجتهدين بشرط أن يكون ذلك المفتي أهلاً للنظر مطلقاً على مأخذ ذلك القول الذي أفتى به، وإلا فلا يجوز، وهو المحكى عن القفال، ونسبه بعض المتأخرين إلى الأكثرين، وليس كذلك، ولعله يعنى الأكثرين من المقلدين.

الخامسة

اختلف المجوزون للتقليد، هل يجب على العامي التزام مذهب معين فى كل واقعة، فقال جماعة: يلزمه، ورجحه إلكيا، وقال آخرون: لا يلزمه، ورجحه ابن برهان والنووى، واستدلوا بأن الصحابة لم ينكروا على العامة تقليد بعضهم فى بعض المسائل، وبعضهم فى البعض الآخر، وذكر بعض الحنابلة أن هذا مذهب أحمد بن حنبل، وقد كان السلف يقلدون من شاؤوا قبل ظهور المذاهب. وقال ابن المنير: الدليل يقتضى التزام مذهب معين بعد الأربعة لا قبلهم. انتهى.

وهذا التفصيل مع زعم قائله أنه اقتضاه الدليل من أعجب ما يسمعه السامعون وأغرب ما يعتبر به المتصفون. وأما إذا التزم العامي مذهباً معيناً، فلهم فى ذلك خلاف آخر، وهو أنه هل يجوز أن يخالف إمامه فى بعض المسائل ويأخذ بقول غيره، فقيل: لا يجوز، وقيل: يجوز، وقيل: إن كان قد عمل بالمسألة لم يجز له الانتقال وإلا جاز، وقيل: إن كان بعد حدوث الحادثة التى قلده فيها لم يجز له الانتقال وإلا جاز، واختاره الجويني، وقيل: إن غلب على ظنه أنه مذهب غير إمامه فى تلك المسألة أقوى من مذهبه جاز له وإلا لم يجز، وبه قال القدورى الحنفى^(١).

(١) انظر: الإحكام لابن حزم (٢/٢٣)، شرح الأصفهاني لنهاية السؤل (١٥٠/ق/ب)، فواتح الرحموت (٢/٤٠١، ٤٠٣).

المقصد السابع فى التعادل والترجيح

وفيه ثلاث مباحث^(١)

المبحث الأول فى معناهما وفى العمل بالترجيح وفى شروطه

أما التعادل، فهو التساوى، وفى الشرع استواء الأمارتين، وأما الترجيح فهو تقوية أحد الطرفين على الآخر، فيعلم الأقوى فيعمل به وي طرح الآخر. والقصد منه تصحيح الصحيح، وإبطال الباطل، والتعارض فى الاصطلاح تقابل الدليلين على سبيل الممانعة، ولترجيح شروط:

الأول: التساوى فى الثبوت، فلا تعارض بين الكتاب وخبر الواحد إلا من حيث الدلالة.

الثانى: التساوى فى القوة، فلا تعارض بين المتواتر والآحاد، بل يقدم المتواتر بالاتفاق كما نقله الجوينى.

الثالث: اتفاقهما فى الحكم مع اتحاد الوقت والمحل والجهة، فلا تعارض بين النهى عن البيع فى وقت النداء مع الإذن به فى غيره.

وأقسام التعادل والترجيح بحسب القسمة العقلية عشرة؛ لأن الأدلة أربعة، فيقع التعارض بين الكتاب والكتاب، وبين الكتاب والسنة، وبين الكتاب والإجماع، وبين الإجماع والإجماع، وبين الإجماع والقياس، وبين القياسين.

المبحث الثانى

أنه لا يمكن التعارض بين دليلين قطعيين اتفاقاً، سواء كانا عقليين أو نقليين، هكذا حكى الاتفاق الزركشى فى البحر، وهكذا إذا كان أحد المتناقضين قطعياً والآخر ظنياً؛ لأن الظن ينتفى بالقطع بالنقيض، وإنما تعارض الظنات، وقد منع جماعة وجود دليلين

(١) انظر: المستصفى (٣٧٨/٢، ٣٧٩)، البرهان للجوينى (١١٤٢/٢)، المنحول (ص ٤٢٦)، الكافية فى الجدل للجوينى (ص ٤٤٠، ٤٤١)، الإحكام للآمدى (٣٢٢/٤)، كشف الأسرار للبخارى (٧٦/٣، ٧٧)، دراسات فى التعارض والترجيح للسيد صالح (ص ٤٢٣، ٤٣٢).

٣٥٤ مختصر إرشاد الفحول

متكافئين في نفس الأمر، بل لابد أن يكون أحدهما أرجح من الآخر، وإن جاز خفاؤه على بعض المجتهدين، وهو الظاهر من مذهب عامة الفقهاء.

المبحث الثالث

في وجوه الترجيح بين المتعارضين لا في نفس الأمر، بل في الظاهر، ولم يخالف في ذلك إلا من لا يعتد به، ومن نظر في أحوال الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم وجدهم متفقين على العمل بالراجح وترك المرجوح، واعلم أن الترجيح قد يكون باعتبار الإسناد، وقد يكون باعتبار المتن، وقد يكون باعتبار المدلول، وقد يكون باعتبار أمر خارج، فهذه أربعة أنواع، والنوع الخامس الترجيح بين الأقيسة، والنوع السادس الترجيح بين الحدود السمعية.

النوع الأول: الترجيح باعتبار الإسناد، وله وجوه:

الأول: الترجيح بكثرة الرواة، فيرجح ما رواه أكثر على ما رواه أقل لقوة الظن به، وإليه ذهب الجمهور. قال ابن دقيق العيد: هذا المرجح من أقوى المرححات. انتهى.

الثاني: أنه يرجح ما كانت الوسائط فيه قليلة، وذلك بأن يكون إسناده عاليًا.

الثالث: أنها ترجح رواية الكبير على رواية الصغير؛ لأنه أقرب إلى الضبط، إلا أن يعلم أن الصغير مثله في الضبط أو أكثر ضبطًا منه.

الرابع: أنها ترجح رواية من كان فقيهاً على من لم يكن كذلك؛ لأنه أعرف بمدلولات الألفاظ.

الخامس: أنها ترجح رواية من كان عالماً باللغة العربية؛ لأنه أعرف بالمعنى ممن لم يكن كذلك.

السادس: أن يكون أحدهما أوثق من الآخر.

السابع: أن يكون أحدهما أحفظ من الآخر.

الثامن: أن يكون أحدهما من الخلفاء الأربعة دون الآخر.

التاسع: أن يكون أحدهما متبعاً والآخر مبتدعاً.

العاشر: أن يكون أحدهما صاحب الواقعة؛ لأنه أعرف بالقصة.

مختصر إرشاد الفحول..... ٣٥٥

الحادى عشر: أن يكون أحدهما مباشراً لما رواه دون الآخر.

الثانى عشر: أن يكون أحدهما كثير المخالطة للنبي ﷺ دون الآخر؛ لأن كثرة الاختلاط تقتضى زيادة فى الاطلاع.

الثالث عشر: أن يكون أحدهما أكثر ملازمة للمحدثين من الآخر.

الرابع عشر: أن يكون أحدهما قد طالت صحبته للنبي ﷺ دون الآخر، وغير ذلك من الوجوه التى تبلغ إلى ٤٢ وجهاً.

النوع الثانى: الترجيح باعتبار المتن، وفيه أقسام:

الأول: أن يقدم الخاص على العام، كذلك قيل، ولا يخفأك أن تقديم الخاص على العام بمعنى العمل به فيما تناوله، والعمل بالعام فيما بقى ليس من باب الترجيح، بل من باب الجمع، وهو مقدم على الترجيح.

الثانى: أن يقدم الأفصح على الفصيح؛ لأن الظن بأنه لفظ النبي ﷺ أقوى، وقيل: لا ترجيح بهذا؛ لأن البليغ يتكلم بالأفصح والفصيح.

الثالث: أنه يقدم العام الذى لم يخص، على العام الذى قد خصص، كذا نقله الجوينى عن المحققين وجزم به سليم الرازى.

الرابع: أنه يقدم العام الذى لم يرد على سبب على العام الوارد على سبب، قاله الجوينى فى البرهان، وإليكا، وأبو إسحاق الشيرازى فى اللمع، وسليم الرازى فى التقريب، والرازى فى المحصول.

الخامس: أنها تقدم الحقيقة على المجاز إذا لم يغلب المجاز إلى غير ذلك من الوجوه.

النوع الثالث: الترجيح باعتبار المدلول، وفيه أقسام:

الأول: أنه يقدم ما كان مقرراً لحكم الأصل والبراءة على ما كان ناقلاً، وقيل بالعكس، وإليه ذهب الجمهور، واختار الأول الفخر الرازى والبيضاوى، والحق ما ذهب إليه الجمهور.

الثانى: أن يكون أحدهما أقرب إلى الاحتياط، فإنه أرجح.

الثالث: أن يقدم المثبت على المنفى، نقله الجوينى عن جمهور الفقهاء؛ لأن مع المثبت

٣٥٦ مختصر إرشاد الفحول

زيادة علم، وقيل بالعكس، وقيل: سواء، واختاره في المستصفى.

الرابع: أنه يقدم ما يفيد سقوط الحد على ما يفيد لزومه.

الخامس: أنه يقدم ما كان حكمه أتحف على ما كان حكمه أغلظ، وقيل بالعكس.

السادس: أنه يقدم ما لا تعم به البلوى على ما تعم به.

السابع: أن يكون أحدهما موجباً لحكمين والآخر موجباً لحكم واحد، فإنه يقدم موجب الحكمين لاشتماله على زيادة.

الثامن: أنه يقدم الحكم الوضعي على الحكم التكليفي، وقيل بالعكس. التاسع: أنه يقدم ما فيه تأسيس على ما فيه تأكيد، واعلم أن المرجح في مثل هذه الترجيحات هو نظر المجتهد المطلق، فيقدم ما كان عنده أرجح على غيره إذا تعارضت.

النوع الرابع: الترجيح بحسب أمور خارجية، وفيه أقسام:

الأول. أنه يقدم ما عضده دليل آخر على ما لم يعضده دليل آخر.

الثاني: أن يكون أحدهما قولاً والآخر فعلاً، فيقدم القول؛ لأن له صيغة والفعل لا صيغة له.

الثالث: أنه يقدم ما كان فيه التصريح بالحكم على ما لم يكن كذلك كضرب الأمثال ونحوها، فإنها ترجح العبارة على الإشارة.

الرابع: أنه يقدم ما عمل عليه أكثر السلف على ما ليس كذلك؛ لأن الأكثر أولى بإصابة الحق، وفيه نظر؛ لأنه لا حجة في قول الأكثر ولا في عملهم، فقد يكون الحق في كثير من المسائل مع الأقل، ولهذا مدح الله القلة في غير موضع من كتابه.

الخامس: أن يكون أحدهما موافقاً لعمل الخلفاء الأربعة دون الآخر، فإنه يقدم الموافق وفيه نظر.

السادس: أن يكون أحدهما يتوارثه أهل الحرمين دون الآخر، وفيه نظر.

السابع: أن يكون أحدهما موافقاً لعلم أهل المدينة، وفيه نظر.

الثامن: أن يكون أحدهما موافقاً للقياس دون الآخر، فإنه يقدم الموافق.

مختصر إرشاد الفحول ٣٥٧

التاسع: أن يكون أحدهما أشبه بظاهر القرآن دون الآخر، فإنه يقدم.

العاشر: أنه يقدم ما فسر الرأزي له بقوله أو فعله على ما لم يكن كذلك.

النوع الخامس: الترجيح بين الأقيسة، لا خلاف في أنه لا يكون بين ما هو معلوم منها، وأما ما كان مظنوناً، فذهب الجمهور إلى أنه يثبت الترجيح بينهما، وهو على أقسام:

الأول: بحسب اللغة.

الثاني: بحسب الدليل الدال على وجود العلة.

الثالث: بحسب الدال على علية الوصف للحكم.

الرابع: بحسب دليل الحكم.

الخامس: بحسب كيفية الحكم.

السادس: بحسب الأمور الخارجية.

السابع: بحسب الفرع، ولكل قسم من هذه السبعة أقسام فصلها في الإرشاد.

النوع السادس: الترجيح بين الحدود السمعية، وهو على أقسام:

الأول: أنه يرجح الحد المشتمل على الألفاظ الصريحة الدالة على المطلوب بالمطابقة أو التضمن على الحد المشتمل على الألفاظ المجازية أو المشتركة أو الغريبة أو المضطربة، وعلى ما دل على المطلوب بالالتزام.

الثاني: أن يكون أحدهما أعرف من الآخر، فيقدم الأعراف على الأخفى؛ لأنه أدل على المطلوب من الأخفى.

الثالث: أنه يقدم الحد المشتمل على الذاتيات على المشتمل على العرضيات.

الرابع: أنه يقدم ما كان مدلوله أعم من مدلول الآخر لتكثير الفائدة، وقيل: بل يقدم الأخص للاتفاق على ما تناوله.

الخامس: أنه يقدم ما كان موافقاً لنقل الشرع واللغة على ما لم يكن كذلك، لكون الأصل عدم النقل.

٣٥٨ مختصر إرشاد الفحول

السادس: أنه يقدم ما كان أقرب إلى المعنى المنقول عنه شرعاً أو لغة.

السابع: أنه يقدم ما كان طريق اكتسابه راجح من طريق اكتساب الآخر.

الثامن: أنه يقدم ما كان موافقاً لعمل أهل مكة والمدينة، ثم ما كان موافقاً لأحدهما.

التاسع: أنه يقدم ما كان موافقاً لعمل الخلفاء الأربعة.

العاشر: أنه يقدم ما كان موافقاً للإجماع، إلى غير لك من الوجوه^(١).

* * *

(١) انظر: تيسير الوصول (١٧٨٤/٤)، جمع الجوامع (٣٥٩/٢)، شرح الكوكب المنير (٢٠٨/٤)، ابن الحاجب (٣٠٩/٢)، الإبهاج (٢١٦/٣)، شرح اللمع (١٠٨٠/٢)، تيسير التحرير (١٥٤/٣)، فواتح الرحموت (٢٠٤/٣)، المحصول (٤٥٦/٢)، الحاصل (٩٢٥/٣)، التحصيل (٢٦٤/٢)، الإحكام للآمدي (٣٩٠/٤، ٩١)، التمهيد للإسنوي (ص ٤٨٧، ٤٨٩)، المعتمد للبصري (٣٥١/٢)، مذكرة أبي النور في الأصول (٤٧٤/٤، ٤٧٧).

المحتويات

٣	مقدمة التحقيق.....
٨	الأصل الأول في المبادئ.....
٢٣	القسم الأول في الحاكم.....
٢٨	القسم الثاني في الحكم الشرعى.....
٢٨	الفصل الأول في معنى الوجوب ومسائله.....
٣٣	الفصل الثاني في المحظور.....
٣٥	الفصل الثالث في المندوب ومسائله.....
٣٦	الفصل الرابع في المكروه.....
٣٦	الفصل الخامس في المباح ومسائله.....
٣٨	الفصل السادس في الأحكام الثابتة بخطاب الوضع والإخبار.....
٣٩	القسم الثالث في المحكوم فيه وهو الأفعال المكلف بها.....
٤٢	القسم الرابع المحكوم عليه، وهو المكلف.....
٤٥	الأصل الثاني في الدليل الشرعى وما يتعلق به.....
٤٥	القسم الأول في معنى الكتاب وما يتعلق به.....
٤٩	القسم الثاني في السنة.....

٣٦٠..... المحتويات

٤٩.....	المقدمة الأولى في عصمة الأنبياء، عليه السلام
٥٠.....	المقدمة الثانية في معنى التأسى، والمتابعة، والموافقة، والمخالفة
٥٥.....	القسم الثالث في الإجماع وما يتعلق به من المسائل
٧٤.....	النوع الأول النظر في السند
٧٤.....	الصنف الأول النظر في حقيقة الخبر
٧٥.....	الصنف الثاني في المتواتر ومسائله
٧٨.....	الصنف الثالث في أخبار الآحاد
٧٨.....	الباب الأول في حقيقة خبر الواحد وما يتعلق به من مسائل
٨٤.....	الباب الثاني في شرائط وجوب العمل بخبر الواحد وما يتعلق بها من المسائل
٨٩.....	الباب الثالث في مستند الراوى وكيفية روايته
٩٠.....	الباب الرابع فيما اختلف فيما يرد به خبر الواحد
٩٧.....	النوع الثاني النظر في المتن
٩٨.....	الباب الأول الصنف الأول الأمر
١١٢.....	الصنف الثاني في النهى
١١٥.....	الصنف الثالث في معنى العام والخاص وصيغ العموم وما يتعلق بها من المسائل
١٣٦.....	الصنف الرابع في معنى تخصيص العموم وما يتعلق به من المسائل
١٣٨.....	الصنف الخامس في أدلة تخصيص العموم
١٣٨.....	القسم الأول في الأدلة المتصلة
١٣٨.....	النوع الأول الاستثناء والنظر في معناه وصيغه وأقسامه، وما يتعلق به من المسائل

المحتويات	٣٦١
النوع الثاني التخصيص بالشرط والنظر في حده وأقسامه وصيغه وأحكامه.....	١٤٣
النوع الثالث تخصيص العام بالصفة.....	١٤٤
النوع الرابع التخصيص بالغاية	١٤٤
القسم الثاني تخصيص العموم بالأدلة المنفصلة.....	١٤٥
الصنف السادس في المطلق والمقيد	١٥٢
الصنف السابع في معنى المحمل وما يتعلق به من المسائل	١٥٣
الصنف الثامن في البيان والمبين وما يتعلق بهما من المسائل.....	١٥٧
الصنف التاسع في الظاهر وتأويله وما يتعلق به من المسائل.....	١٦١
النوع الأول	١٦٥
النوع الثاني.....	١٦٥
النوع الثالث.....	١٦٥
النوع الرابع	١٦٥
الباب الثاني فيما يشترك فيه الكتاب والسنة دون غيرهما من الأدلة.....	١٧٤
القسم الرابع في معنى القياس وأركانه وما يتعلق به.....	١٩٢
الباب الأول في شرائط القياس	١٩٣
القسم الأول في شرائط حكم الأصل.....	١٩٣
القسم الثاني	١٩٥
القسم الثالث في شروط الفرع	٢٠٧
الباب الثاني في طرق إثبات علة الأصل.....	٢٠٧

٣٦٢ المحتويات

٢٠٩.....	الطريق الرابع في إثبات العلة بالسير والتقسيم
٢١١.....	الطريق الخامس في إثبات العلة المناسبة
٢١١.....	الفصل الأول في معنى المناسب
٢١١.....	الفصل الثاني في بيان مراتب الحكم إلى مقصوده
٢١٢.....	الفصل الثالث في أقسام مقصود الحكم واختلاف مراتبه
٢١٢.....	الفصل الرابع
٢١٣.....	الفصل الخامس في كيفية ملازمة الحكمة لضابطها
٢١٣.....	الفصل السادس في أقسام المناسب بالنظر إلى طرق اعتباره
٢١٤.....	الفصل السابع
٢١٦.....	الطريق السادس في إثبات العلة بالشبه
٢١٧.....	الطريق السابع في إثبات العلة بالطرد والعكس
٢١٧.....	خاتمة في أنواع النظر في مناط الحكم وهي التحقيق والتنقيح والتخريج
٢١٨.....	الباب الثالث في أقسام القياس
٢١٩.....	الباب الرابع في مواقع الخلاف في القياس
٢٢٨.....	خاتمة
٢٢٨.....	الباب الخامس في الاعتراضات الواردة على القياس وجهات الانفصال عنها
٢٣٦.....	خاتمة لهذا الباب في ترتيب الأسئلة الواردة على القياس
٢٣٧.....	القسم الخامس في الاستدلال وأنواعه

المحتويات	٣٦٣
الأصل الثالث في المجتهدين وأحوال المفتين والمستفتين	٢٤٦
الباب الأول في معنى الاجتهاد والمجتهد والمفتد فيه وما يتعلق بذلك من المسائل	٢٤٦
الباب الثاني في التقليد، والمفتى، والمستفتى، وما فيه الاستفتاء	٢٥٦
الأصل الرابع في الترجيحات	٢٦١
أما المقدمة ففي بيان معنى الترجيح، ووجوب العمل بالراجح، وما فيه الترجيح	٢٦١
الباب الأول في ترجيحات الأدلة الشرعية	٢٦٢
القسم الأول في التعارض الواقع بين منقولين	٢٦٢
القسم الثاني في التعارض الواقع بين معقولين من الأقيسة	٢٦٥
القسم الثالث التعارض بين المنقول والمعقول	٢٦٦
الباب الثاني في الترجيحات الواقعة بين الحدود الشرعية الظنية	٢٦٦
فهرس كتاب تحصيل المأمول من علم الأصول مختصر إرشاد الفحول	٢٦٩
ترجمة المصنف	٢٧١
الفصل الأول في تعريف أصول الفقه وموضوعه وفائده واستمداده	٢٧٣
الفصل الثاني في المبادئ اللغوية	٢٧٤
الفصل الثالث في تقسيم اللفظ إلى مفرد ومركب	٢٧٥
الفصل الرابع في مسائل الحروف	٢٨١
الفصل الخامس في الأحكام، وفيه أربعة أبحاث	٢٨٦
المقصد الأول	٢٩٠
الفصل الأول في الكتاب العزيز، وفيه فصول	٢٩٠

٣٦٤ المحتويات

٢٩٠.....	الفصل الثاني.....
٢٩١.....	الفصل الثالث في المحكم والمتشابه من القرآن.....
٢٩٢.....	الفصل الرابع في المعرب هل هو موجود في القرآن أم لا؟.....
٢٩٣.....	المقصد الثاني في السُّنة.....
٢٩٣.....	البحث الأول في معنى السُّنة لغة وشرعًا.....
٢٩٣.....	البحث الثاني.....
٢٩٤.....	البحث الثالث.....
٢٩٤.....	البحث الرابع.....
٢٩٦.....	البحث الخامس في تعارض الأفعال.....
٢٩٧.....	البحث السادس في التعارض بين قوله، عليه السلام، وفعله.....
٢٩٨.....	البحث السابع في التقرير.....
٢٩٩.....	البحث الثامن ما هم به ﷺ ولم يفعله.....
٢٩٩.....	البحث التاسع في الأخبار، وفيه أنواع.....
٣٠٤.....	المقصد الثالث الإجماع، وفيه أبحاث.....
٣٠٤.....	البحث الأول في مسماه لغة واصطلاحًا.....
٣٠٤.....	البحث الثاني في إمكانه في نفسه.....
٣٠٥.....	البحث الثالث.....
٣٠٦.....	البحث الخامس.....
٣٠٧.....	البحث السادس.....

المحتويات	٣٦٥
البحث السابع	٣٠٧
البحث الثامن	٣٠٧
البحث التاسع في الإجماع السكوتي	٣٠٨
البحث العاشر	٣٠٩
البحث الحادى عشر	٣٠٩
البحث الثانى عشر	٣١٠
البحث الثالث عشر	٣١٠
البحث الرابع عشر	٣١٠
المقصد الرابع	٣١٢
الباب الأول في مباحث الأمر، وفيه فصول	٣١٢
الباب الثانى	٣١٦
في النواهى، وفيه ثلاثة مباحث	٣١٦
الباب الثالث في العموم، وفيه مسائل	٣١٧
الباب الرابع في الخاص والتخصيص والخصوص، وفيه مسائل	٣٢٠
الباب الخامس في المطلق والمقيد، وفيه بحثان	٣٢٣
البحث الأول	٣٢٣
البحث الثانى	٣٢٣
الباب السادس في المحمل والمبين، وفيه فصول	٣٢٤
الفصل الأول في حدهما	٣٢٤

٣٦٦ المحتويات

٣٢٥ الفصل الثاني

٣٢٥ الفصل الثالث

٣٢٥ الفصل الرابع

٣٢٦ الباب السابع في الظاهر والمزول، وفيه ثلاثة فصول

٣٢٦ الفصل الأول في حدهما

٣٢٧ الفصل الثاني فيما يدخله التأويل وهو قسمان

٣٢٧ الفصل الثالث في شروط التأويل

٣٢٨ الباب الثامن في المنطوق والمفهوم

٣٢٨ الأولى في حدهما

٣٢٨ الثانية مفهوم المخالفة

٣٢٩ الثالثة

٣٣٠ الرابعة في أنواع مفهوم المخالفة

٣٣١ الباب التاسع في النسخ، وفيه مسائل

٣٣١ الأولى في حده

٣٣٢ الثانية

٣٣٢ الثالثة

٣٣٢ الرابعة

٣٣٣ الخامسة

٣٣٣ السادسة

المحتويات	٣٦٧
السابعة	٣٣٣
الثامنة	٣٣٤
التاسعة	٣٣٥
العاشر	٣٣٥
الحادية عشرة	٣٣٦
المقصد الخامس في القياس وما يتصل به، وفيه فصول	٣٣٨
الفصل الأول في تعريف القياس	٣٣٨
الفصل الثاني في حجية القياس	٣٣٨
الفصل الثالث في أركان القياس	٣٣٩
الفصل الرابع في الكلام على مسالك العلة	٣٤١
الفصل الخامس في الاستدلال	٣٤٦
المقصد السادس في الاجتهاد والتقليد	٣٤٨
الفصل الأول في الاجتهاد	٣٤٨
الفصل الثاني في التقليد وما يتعلق به من أحكام المقتضى والمستفتى	٣٥١
المقصد السابع في التعادل والترجيح	٣٥٣
المبحث الأول في معناهما وفي العمل بالترجيح وفي شروطه	٣٥٣
المبحث الثاني	٣٥٣
المبحث الثالث	٣٥٤